X Z

فكر سيد قطب رحمه الله
بين رأيين

بقلم
سعد بن عبد الرحمن الحصين

E Θ

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ أما بعد:

فإن رسالة خاصة من العالم المحقق الشيخ بكر بن عبد الله أبوزيد إلى أخيه العالم المحقق الشيخ ربيع بن هادي المدخلي – حفظهما الله – حول فكر الأستاذ سيّد قطب رحمه الله تنشر بطريقة ملحّة وغير مشروعة منذ بضع سنين، ولا أكاد أشك فيما يلي:

1- أن من يقف وراء نشرها بهذا الإلحاح والاعتداء حركة من الحركات الموصوفة بالإسلامية ـ أو أحد مؤيديها ـ لا ينقصها التنظيم ولا يعوزها التمويل ـ انتصاراً لأحد كبار مفكريها ـ وإن خالَفَتْ كاتبها في منهاجه، وحاربت كتابه الفريد: (حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية)، وكتابه: (براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة)؛ تعصبا لمنهاجها ، ولأحد قادتها؛ الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة مرشد الحركة في سوريا تجاوز الله عنه.

2- أن الشيخ بكراً كان متردداً في إيصال رسالته إلى الشيخ ربيع [بل كان متردداً في إجابة طلبه نقد كتابه: (أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره) لولا إلحاح مؤلفه (ص15)]، فضلاً عن كراهيته للطريقة الاستفزازية التي نُشِرَتْ بها رسالته الخاصّة.

3- أن الشيخ بكراً استشار أحد طلاب العلم الشرعي في تقديمها للشيخ ربيع أو إهمالها، وأُنسي الاثنان أمرها بضعة

أشهر، حتى عثر عليها بعض شباب الحركيّة الحزبية فاستغلها الشيطان للوقيعة بين العالمين السلفيَّين، ونصر علم من أعلام الفكر الحركي(الخلفي) المبتدع.

ودليلي على صحة ذلك: أن نشر الرسالة بدأ بعد مرور ما يقرب من ثمانية أشهر على تاريخ كتابتها، وأن كاتبها الشيخ بكر يؤكد جهله بالطريقة التي أوصلتها للنشر، وعدم رضاه بها، وعدم وجود توقيعه عليها.

وقد رأيتُ أن النصيحة لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم توجب عليّ محاولة القضاء على هذه الفتنة بين اثنين من أبرز دعاة السنة (في بلاد ودولة أُسِّسَتْ من أول يوم على تجديد الدين بالعودة به إلى منهاج النبوة في الدين والدعوة) متوكلاً على الله وحده، ومستنداً إلى فكر الأستاذ سيد قطب رحمه الله من كتبه المطبوعة في دار الشروق بعد موته بعشرات السنين، وإلى مجموع آراء العالمين المحققين: بكر وربيع ـ حفظهما الله قدوة صالحة ـ.

وكنت كتبت خطاباً موجزاً للشيخ بكر في بداية عاصفة اغتصاب رسالته ونشرها، لم يكن قصدي منها – يعلم الله – الرد عليه بقدر ما كنت أحاول ردع الحركيين الذين سرقوا رسالته ونشروها دون علمه ولا موافقته، بعد محاربتهم كتابيه: (حكم الانتماء)، و (براءة أهل السنة)؛ فرحاً بخروجه (في رسالة خاصة) عن منهاجه العلمي الفريد في البحث والتمحيص، وكراهية لما وفقه الله إليه من تحريم مناهجهم وتحزبهم وانعزالهم.

وما قصدت من خطابي له أكثر مما قصدت من خطاباتي للوالد العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز، ومحدِّث العصر

العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمهما الله: الوقوف في وجه استغلال مبتدعة التحزب والتعصب أدنى أقوال العلماء، ورد أحسنها؛ موافقة لأهوائهم أو تلبيساً على غيرهم.

* * *

وجوه اتفاق العالِمَين المحققين واختلافهما

قبل أن نضع فكر الأستاذ سيد قطب رحمه الله في ميزان التحقيق، يجدر بنا إجابة أكثر من سؤال عن أوْجُه اتفاق العالِمَين المحققين: بكر أبو زيد، وربيع المدخلي، واختلافهما:

أ) هل يختلفان في المنهاج؟

الجواب: معاذ الله! بل هما متفقان كل الاتفاق على الالتزام بمنهاج الكتاب والسنة، كما فهمه سلف الأمة ، علماً وعملاً:

1) كلاهما درس علوم الشريعة، حتى بلغا أعلى درجات الدراسة العصرية (درجة الدكتوراه)، وتجاوزاها إلى آفاق العلوم الشرعية الواسعة التي يقصر عنها أكثر الحاصلين على هذه الدرجة، ممن لا يتجاوز مبلغهم من العلم ألقابه الأعجمية.

وقد تميز الشيخ بكر أبو زيد ـ وفقه الله ـ في العالم العربي والمسلم برفضه حمل لقب الدكتوراه الذي يتشبث به أكثر الحاصلين عليه، وبلغ به مقته هذا التقليد الأعجمي المبتدع تأليف رسالة بعنوان: (تغريب الألقاب العلمية) تبيِّن مجانبة هذه الألقاب سَمْتَ العالم المسلم.

والحقُّ أن كلا من المحققين: الشيخ بكر والشيخ ربيع ـ حفظهما الله قدوة صالحة ـ في تميّزهما العلمي والعملي أكبر من كل الألقاب الدراسية الحادثة.

2) ووفقهما الله ليتبوءَا أعلى وظائف العلم والعمل الشرعي؛ فعَمِل الشيخ بكر عضواً في هيئة كبار العلماء، والشيخ ربيع رئيساً لقسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

3) وألَّف كل منهما العديد من الرسائل؛ نصراً ونشراً للدين

الحق؛ والدعوة إليه على بصيرة.

4) ومَيَّزهما الله بالالتزام بمنهاج النبوة في الدين والدعوة إليه، ونشر توحيد الله بالعبودية ومتابعة السنة، ومحاربة الشرك بالله في عبادته وما دون ذلك من البدع ، والتفرق بها في الدين.

5) وأنكر كل منهما المناهج البشرية الفكرية، والانتماء للجماعات والأحزاب والفرق الدينية التي يحاول الشيطان أن يفرق بها وحدة الأمة على التوحيد والسنة، وبذل كل منهما جهداً عظيماً مباركاً في التحذير منها، ورد المسلمين ـ بعون الله ـ إلى منهاج السنة المعصومة.

ب) هل يختلفان في الوسيلة والأسلوب ؟

الجواب: إنهما لا يختلفان في الوسيلة التي اختارها الله لكل أنبيائه ورسله في الدعوة إلى سبيله على بصيرة من هدي الكتاب والسنة، وهي لغة القرآن والحديث، وما كان لهما ـ وهما متفقان على المنهاج النبوي ـ أن يختلفا على الوسيلة النبوية.

ولكنهما يختلفان في الأسلوب والأداة مما لا بأس بالاختلاف فيه:

1) يؤثر الشيخ بكر الانقطاع للبحث العلمي والشرعي، بعيداً عن الاتصال المباشر بالناس؛ فهو يصرف جل وقته بين مكتبه ومكتبته، ولهذا غلب على إنتاجه العلمي: البحث الموضوعي، وتجنب نقد المعيَّن، لم يخرج عنه – فيما أعلم – إلا في بيانه عوار الأستاذ: عبد الفتاح أبو غدة ـ رئيس حزب الإخوان المسلمين في سوريا ـ تجاوز الله عنا وعنه، والأستاذ: محمد بن علي الصابوني ـ ختم الله لنا وله باتباع السنة والبراءة من البدعة ـ.

2) أما الشيخ ربيع فيصرف كثيراً من وقته للقاء طلاب العلم

والدعوة؛ فمنزله مفتوح للجميع يدارس الموافق له منهم والمخالف، ولهذا تميز إنتاجه العلمي بالتركيز على بحث مسائل التوحيد والسنة والشرك والبدعة، والرد على المخالفين لشرع الله في ذلك.

3) ونتيجة لهذا اختلفا في النظر إلى فكر سيد قطب رحمه الله، وهي أول قضية ـ فيما أعلم ولعلها آخر قضية ـ يظهر فيها الخلاف بينهما:

* يرى الشيخ بكر في أسلوب سيد (المحلّق) ما يجذب شباب الأمة إلى الدين، ويثير غيرتهم على الحكم بما أنزل الله أكثر مما يصرفهم عن منهاج النبوة، ويَحْذَر من تنمية الجرأة على تكفير الدعاة والمصلحين بما لا يتجاوز الخطأ في اختيار الألفاظ، وحرمان الأمة من جرأتهم في قول الحق.

* ويرى الشيخ ربيع في فكر سيد ـ عفا الله عنا وعنه ـ خطر الخلط بين الوحي اليقيني الثابت، وبين الفكر الظني المضطرب المتناقض، وخطر الفتنة في جرأة سيّد على القول بلا علم وعلى التكفير بالمعصية، والإعراض عن التحذير من الإشراك بالله في عبادته، وما دونه من البدع التي تلازم أكثر المسلمين منذ قرون يتقربون بها إلى الله، والإعراض عن نشر التوحيد والسنة، والانشغال بالمهم عن الأهم، وبالصغيرة عن الكبيرة الموبقة، ويرى أكبر الخطر في اتّباع أكثر شباب الأمة (ومنهم طلاب العلم الشرعي والدعاة إلى الإسلام) هذا المنهج المخالف للسنة، ونشره في أكثر مكتبات المساجد، ودور القرآن، والمراكز الصيفية، والجمعيات والرحلات المدرسية، ووسائل الإعلام.

ج) هل يخالف الشيخ بكر زميله ـ في المنهاج، والوسيلة،

والدعوة إلى الله على بصيرة ـ الشيخ ربيعاً الرأي في خطر تعدد الفرق، والأحزاب، والجماعات الموصوفة بالإسلامية على حاضر المسلمين ومستقبلهم؟

الجواب: أنه يوافقه تمام الموافقة في عموميات هذا الأمر وجزئياته.

يقول الشيخ بكر ـ أدام الله توفيقه ـ في كتابه الفريد (حكم الانتماء إلى الفرق والجماعات والأحزاب الإسلامية) (ص45)؛ تحذيراً من الخروج على جماعة المسلمين الواحدة بإحداث جماعات وأحزاب دينية متعددة: (جماعة المسلمين على منهاج النبوة لا تقبل التشطير ولا التجزئة، فالنبي × ثم صحابته رضي الله عنهم فمن تبعهم بإحسان، كانت دعوتهم لتكوين (جماعة المسلمين) حاملة راية التوحيد، لا (لجماعة من المسلمين)؛ وأنهم هم المسلمون، وهم الطائفة المنصورة، وهم الفرقة الناجية، وهم السلف الصالح، وهم من كان على مثل ما كان عليه النبي × وأصحابه، وأمر بلزومهم، ونهى عن مفارقتهم والشذوذ عنهم، كما نهى عن تفرقهم، ونصوص الكتاب والسنة في هذا متكاثرة).

[منها: قول الله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**} [الأنعام: 159]؛ فالتشيع لفرد أو جماعة، أو منهاج محدث، أو تنظيم، أو أمير خاص ، مرادف للتفرق في الدين، والانعزال عن جماعة المسلمين].

ويقول وفقه الله (ص46): (وليس لهم جماعة من المسلمين، بل جماعتهم المسلمون، إذ الأصل لا يحتاج إلى سمة خاصة تميزه، إنما الذي يحتاج إلى اسم معين هو الخارج عن الأصل من تلكم الجماعات التي انشقت عن الأصل جماعة المسلمين).

ويقول وفقه الله (ص46): (فإذا انخزل فرد من المسلمين، أو انخزلت فرقة عنهم؛ فهذا انشقاق على المسلمين وتفريق لجماعتهم، وهو في طبيعة حاله انخزال عن كل الإسلام على منهاج النبوة، وعكس لما أوصى به النبي × من اعتزال الفرق كلها ولزوم جماعة المسلمين فهذا اعتزل جماعة المسلمين والتزم بالفرقة المفارقة لهم باسم أو رسم).

ويقول وفقه الله (ص47): (فلا يجوز عقد الموالاة على اسم دون اسم الإسلام، ولا الموالاة على رسم دون رسم الإسلام، ولا موالاة بعض المسلمين دون بعض تحت اسم معين لجماعة دون جماعة آخرين).

ويقول وفقه الله (ص29): (والله تعالى قد سمانا المسلمين، فلا نعدل إلى أسماء أحدثها قوم، وسموها ـ هم وآباؤهم ـ ما أنزل الله بها من سلطان).

ويرى وفقه الله (ص8): (أن هذه الأحزاب والجماعات الإسلامية القائمة في عصرنا مرفوضة سنداً ومتناً، وأنها امتداد للفرق والطوائف التي انشقت عن جماعة المسلمين بعد عصر الخلافة الراشدة، وإن اختلفت في اللقب والشعار، وشيء من التخطيط والمنهج) كما بيَّن ـ بَعْدُ ـ في بقية كتابه الفريد.

وهذا البيان المدوّي من الشيخ بكر عن مخالفة الجماعات والأحزاب الإسلامية شرع الله بمجرد وجودها ـ فضلاً عن آثارها ـ هو رأي الشيخ ربيع ، لا يزيد عليه، بل قد يتردد ـ مثلي ـ في قبول حكم الشيخ بكر على الجماعات والأحزاب الإسلامية بـ(الانخزال عن كل الإسلام على منهاج النبوة) (ص46).

وهما متفقان بصفة خاصة على حفظ جزيرة العرب من تعدد الجماعات والأحزاب الموصوفة بالإسلامية؛ لأن الله ميَّزها

بالنبوة والوحي والهجرة؛ وبالخلافة الراشدة، وبالفقه في الدين في القرون المفضلة، ثم ميزها بتجديد الدين والدعوة على منهاج النبوة في القرون الثلاثة الأخيرة.

قال الشيخ بكر في كتابه (خصائص جزيرة العرب) (ص86): (والجماعات إن استشرى تعددها في الجزيرة؛ فهو خطر داهم يهدد واقعها ويهدم مستقبلها).

وقال (ص88): (فالواجب ـ والله ـ تنظيف هذه الجزيرة من تلكم المناهج الفكرية المبتدعة والأهواء الضالة، وأن تبقى عنوان نصر للكتاب والسنة، والسير على هدي سلف الأمة، حرباً على البدع والأهواء المضلة).

د) هل يخالف الشيخُ بكر أخاه الشيخَ ربيعاً في وجوب المحافظة على منهاج النبوة في الدعوة على اختلاف الزمان والمكان والأحوال؟

والجواب: حاشا لله ! بل يوافقه كل الموافقة.

يقول الشيخ بكر وفقه الله عن منهاج الدعوة: (حقيقة الدعوة توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها، حقيقة الدعوة أمر ثابت لا يتغير ولا يتحول بتغير الأزمان والمكان والأحوال). (حكم الانتماء) (ص127).

بل إن الشيخ بكراً يرى أن وسيلة الدعوة توقيفية كذلك.

يقول ـ نصر الله به منهاج النبوة ـ: (والأصل في وسائل نشر الدعوة كذلك التوقيف على منهاج النبوة، وقد صح عن النبي ×: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد** » [متفق عليه]، وفي لفظ [لمسلم]: « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد** ». (حكم الانتماء) (ص127).

وقال وفقه الله: (من الوسائل التي تُهَجِّنُ الدعوة، وتثير

الشغب، وتجعل الأمة شِيَعاً: تلكم البيعة البدعية الممتدة من مَعِين المتصوفة إلى مستحدث بعض الجماعات الإسلامية، وهكذا الأهواء يجر بعضها بعضاً) (حكم الانتماء) (ص130-131).

ثم قال وفقه الله: (وهذا محل إجماع الأمة، كما قال القرطبي رحمه الله في (تفسيره) (273/1): (فأما إقامة إمامين أو ثلاثة في عصر واحد، وبلد واحد؛ فلا يجوز إجماعاً) (حكم الانتماء) (ص131).

أما الشيخ ربيع فكل كتابه (منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل) تأكيدٌ لهذا الحكم الشرعي.

يقول وفقه الله في مقدمته: إن مقصده من تأليفه: (بيان منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، وبيان مزاياه التي لا يُشارَك فيها، وبيان ضرورة اتباعه وحده؛ لأنه الطريق الأوحد الذي يوصل إلى الله ويكسب رضاه، وهو السبيل الأوحد لإنقاذ الأمة، والموصل إلى السيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة) (ص16).

بل إن سيد قطب نفسه رحمه الله لا يخالفهما في القول، وإن خالفهما في فهم منهاج النبوة، وبالتالي في العمل به.

يقول رحمه الله: (مصلحة الدعوة الحقيقة في استقامتها على النهج دون انحراف قليل أو كثير، أما النتائج فهي غيب لا يعلمه إلا الله، فلا يجوز أن يحسب حملة الدعوة حساب هذه النتائج، إنما يجب أن يمضوا على نهج الدعوة الواضح الصريح الدقيق، وأن يَدَعوا نتائج هذه الاستقامة لله، ولن تكون إلا خيراً في نهاية المطاف... ولقد تتحول (مصلحة الدعوة) إلى صنم يتعبده أصحاب الدعوة، وينسون معه منهج الدعوة الأصيل). (في ظلال القرآن-2435/4).

هـ) هل يخالف الشيخُ بكر أخاه الشيخَ ربيعاً في قيمة كتب الأستاذ سيد رحمه الله عامة؟

الجواب: أن الشيخ بكراً بَيَّن في رسالته الخاصة (المفترى عليه نشرها): أنه [على سعة اطلاعه وتتبعه مطبوعات العلوم الشرعية] (لم تكن له عناية بقراءة كتب سيّد وإن تداولها الناس)؛ فهو أكثر عزوفاً عنها وإهمالاً لها من الشيخ ربيع، ولكن (هول ما ذكر عنه) في كتاب (أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره) دفعه (إلى قراءات متعددة في عامة كتبه؛ فوجد فيها خيراً كثيراً) (ص13).

وطلب من الله المغفرة (لسيّد كلامه المتشابه الذي جنح فيه بأسلوب وسّع فيه العبارة) (ص8).

وخطَّأ سيداً (فيما سماه تمدداً في الأسلوب) لوصفه كلام الله بأنه (من صنع الله لا من صنع الناس) (ص10).

وأشار إلى (عثرات في سياقات سيّد، واسترسال بعبارات ليته لم يَفُهْ بها) (ص13).

وأقرّ (بيان ما تحققنا خطأه فيه) (ص14).

ولكنه يخالف الشيخ ربيعاً فيما وصفه بأسلوب التوتر، والتهيج، والتهجم، مما يقوي (في نفوس الشبيبة جنوح الفكر بالتحريم [والتضليل، والتبديع، والتكفير] دون بينة كافية للإثبات) (ص12).

ويرى أن خطأ سيد [مهما أَوْهَم] لا يوجب حرمان الأمة من تركيزه على الجرأة الفاجرة على إلغاء تحكيم شرع الله من القضاء وغيره توحيد الحاكمية والتشريع، لما رأى من هذه، وإحلال القوانين الوضعية بدلاً عنها (ص4و9)، ويرى أن هذا يشفع لسيّد، ويكفّر عنه أخطاءه، ويستوجب حمايته من الوقيعة

فيه.

وكذلك الشيخ ربيع؛ كان أسبق من الشيخ بكر إلى قراءة كتب الأستاذ سيّد، ووجد فيها خيراً كثيراً، ونقل عنه ـ كما ذكر الشيخ بكر ـ وبَيَّن صوابه في بعض آرائه، ولكنه وضع صوابه وخطأه في ميزان المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، ورأى مبلغ تأثر الشباب بخطئه أكثر من تأثرهم بصوابه؛ فرأى من واجبه بيان أخطائه.

وكل قارئ لكتاب يحسن الظن بمؤلفه، فهو حري أن يجد فيه ما يرضيه، فكم نالت (الرسالة القشيرية) و (إحياء علوم الدين) من الثناء والنقل منهما، وهما أهمّ منابع التصوف ومراجعه، بل قال لي أحد (علماء السنة) في بلاد الشام: إنه قرأ في (الفتوحات المكية) فوجد فيها توحيداً عميقاً، فلما وضعت يده على بعض ما ارتضاه ابن عربي من تفسير المتصوفة للقرآن مثل: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**} [البقرة:161]؛ (أي:ستروا محبتهم لله عن غيرهم)، {**سَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ**} [البقرة:6] (يا محمد) {**أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**} [البقرة: 6] (بك؛ لأنهم لا يأخذون إلا عني)، {**خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**} [البقرة: 7] (فليس فيها إلا محبتي) {**وَعَلَى سَمْعِهِمْ**} [البقرة: 7] (فلا يسمعون إلا مني)، {**وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**} [البقرة: 7] (فلا يرون إلا إياي)، {**وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ**} [البقرة: 7] (إشارة إلى عذوبة جزائهم عند الله) ، عَجِب من وجود هذا الكتاب في مكتبته قريباً من نصف قرن، وهو لا يعرف أن فيه طامَّة مثل هذه، فبينت له أن فيه من مثلها كثير، وفي (فصوص الحكم) وغيره أكثر وأشنع.

و) هل يوافق الشيخُ بكر الأستاذ سيّداً؛ أم يخالفه في غالب فكره: منهاجاً وأسلوباً؛ كما يفعل الشيخ ربيع؟

والجواب: أنه يخالفه بالقدر الذي يوافق بـه الشيخ ربيعاً ، من حيث اختيارهما منهاج الأئمة الأول في القرون المفضلة ولغة القرآن والسنة، واختيار سيّد منهاج الفكر ولغة العصر.

وفي نهاية هذا البحث تفصيل لمخالفة الشيخ بكر الأستاذ سيد رحمه الله في الأسلوب والمنهاج من خلال الإشارة لمخالفته الفكر الإسلامي بعامة.

* * *

ميزان النقد الشرعي

ميزان النقد في هذا البحث لما قال سيد رحمه الله وما قيل عنه، يقوم على:

1) التبيُّن والتَّثبُّت قبل الحكم، قال الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**} [الحجرات: 6]، فلا يجوز الحكم عليه بمجرد رواية مُؤَيِّد أو مُخَالِف له، أو إشاعة عنه بخير أو شر.

وعليه؛ فلم يكن من سبل العلم والتحقيق أن يردد الشيخ بكر في رسالته (المفترى عليه نشرها) إشاعة لا يُعْرف مصدرها، عن أنه طُلِبَ من سيّد أن يسطّر بقلمه كلمات اعتذار فقال: (إنّ أصبعاً أرفعه للشهادة لن أكتب به كلمة تضارها... أو نحو ذلك) (ص14)، وبخاصة إذا رُوِيَتْ هذه الإشاعة في معرض المطالبة بالتغاضي عن زلات من رُوِيَتْ عنه، وليس من عادة المحاكم العسكرية والأمنية طلب الاعتذار مِمَّن اعترف بالتآمر لاغتيال رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وعدد من كبار الموظفين، ونسف محطة الكهرباء، وعدد من المنشآت في العاصمة وإن سماه سيد رحمه الله (دفاعاً عن الإخوان) (لماذا أعدموني) (ص50-61).

2) الأحكام البشرية لا تكون إلا على حاضر وماضي الأقوال والأفعال، أما ما يضمره القلب وما يضمره الغيب؛ فحكمه إلى الله وحده.

وعليه؛ فلم يكن من سبل العلم والتحقيق ما ردَّده الشيخ ربيع من رمي سيد بالتقية، وبمحاولة إيهام القارئ اعتقاده ما لا يعتقد،

ولا الحكم عليه بما كان سيفعل لو قامت لحزبه دولة.

والقرائن ليست حجة في مثل هذا، بدليل قول النبي × لأسامة ر: « **فهلاّ شققت عن قلبه** » [متفق عليه].

وقال الله تعالى عن المشركين: {**إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ**} [الأعراف: 30]، فمن حق المسلم على المسلم إحسان الظن بنيَّته مهما بلغت أخطاؤه، فلن يكون أسوأ ممن قال الله فيهم: {**وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**} [الكهف: 104] ، ومن العدل مع المسلم وغيره ألاّ يُحْكَم بحاضر فِكْرِه على مستقبل عمله فالغيب لله وحده.

3) عرض أقوال سيّد رحمه الله على نصوص الوحي كما فهمها الفقهاء في القرون المفضلة، وقبول ما وافقها ونبذ ما خالفها، ومع إحسان الظن بسيّد، فمن النصيحة لله ، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم بيانُ أخطائه ـ تجاوز الله عنا وعنه ـ ، ونَشْرها بالقدر الذي نُشِرت به أفكاره الخاطئة، ورُوِّج لها، وتأثّر بها الناس.

ورحم الله سيّدَ قطب، لقد أقرّ هو بنفسه هذا الوزن الحق إذ قال: (إن منهج الله ثابت، وقيمه وموازينه ثابتة، والبشر يبعدون أو يقربون من هذا المنهج، ويخطئون ويصيبون... وحين يخطئ البشر في قواعد التصور وقواعد السلوك؛ فإنه يصفهم بالخطأ مهما تكن منازلهم وأقدارهم... ونتعلم من هذا أن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج، وأنه من الخير للأمة المسلمة أن تبقى مبادئ منهجها سليمة ناصعة قاطعة، وأن يوصف المخطئون والمنحرفون بالوصف الذي يستحقونه ـ أياً كانوا ـ، وألا تبرّر أخطاؤهم وانحرافاتهم أبداً، فهذا التحريف والتبديل أخطر على الإسلام من وصف كبار الشخصيات

المسلمة بالخطأ والانحراف) (في ظلال القرآن 533/1- دار الشروق).

4) تعديل بعض الألفاظ الخاطئة في كتابه (العدالة الاجتماعية)، في الطبعة السادسة ـ بعد ستة عشر عاماً من نشره وقبل وفاته بعام ـ لا يمنع من نقده؛ لأن عشرات الألوف من نسخ الطبعات القديمة لا يزال موجوداً في المكتبات الخاصة والعامة، ولم يُقبل من (طه حسين) تعديل بعض الألفاظ الخاطئة في كتابه عن الشعر الجاهلي في الطبعة الثانية (لا السادسة).

ومع ذلك فقد وُزِنَ فكر سيّد في هذا البحث وِفْقَ ما استقر عليه، واستمر طبعه بعد وفاته رحمه الله بعشرات السنين، فيما سَمَّاه ورثته: الطبعات الشرعية من دار الشروق.

* * *

أهم مواضع الجدل في فكر سيد

أولاً: **ذم موسى عليه السلام:**

أ) أنكر الشيخُ ربيع على سيّد ـ عفا الله عنا وعنه ـ كلمات نابية في وصف نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ؛ مثل قوله في (التصوير الفني في القرآن) ط. دارالشروق عام2000م:

1) (لنأخذ موسى؛ إنه نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج) (ص200).

2) (وهنا يبدو التعصب القومي كما يبدو الانفعال العصبي)، على قول الله تعالى: {**فَوَكَزَهُ مُوسَى**} [القصص: 15] (ص200).

3) (وتلك سمة العصبيين)، على قول الله تعالى: {**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ**} [القصص: 18] (ص201).

4) (وينسيه التعصب والاندفاع استغفاره وندمه)، على قول الله تعالى: {**فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا**} [القصص: 19] (ص201).

5) (فلندعه هنا لنلتقي به في فترة من حياته بعد عشر سنوات فلعله قد هدأ وصار رجلاً هادئ الطبع، حليم النفس، كلا... إنه الفتى العصبي نفسه... فغيره كان يخاف، نعم، ولكن لعله كان يبتعد منها، ويقف ليتأمّل هذه العجيبة الكبرى) على قول الله تعالى: {فَلَمَّا **رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ**} [القصص: 31] (ص201).

6) (ثم لندعه فترة أخرى لنرى ماذا يصنع الزمن في أعصابه ، ولكن ها هو ذا يسأل ربه سؤالاً عجيباً): {**قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ**

إِلَيْكَ} [الأعراف: 143] (ص201-202).

7) (عودة العصبي في سرعة واندفاع)، على قول الله تعالى: {**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**} [الأعراف: 143] (ص202).

8) (هكذا في حنق ظاهر، وحركة متوترة)، على قول الله تعالى: {**وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً**} [طه: 97] (ص202).

9) (تقابل شخصية موسى شخصية إبراهيم؛ إنه نموذج الهدوء والتسامح والحكمة) على قول الله تعالى: {**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ**} [هود: 75] (ص203).

ب) ويليق بتميّز الشيّخ بكر في المنهاج والعلم واللغة من جهة، وميله إلى إحسان الظن بسيد من جهة أخرى، ألاّ يقر سيّداً على وصفه موسى عليه السلام ببعض أوصاف الذم التي وصف الشيخ بكر أخاه ربيعاً بها في معرض النقد الحاد مثل: (العصبية، والتوتر، والحنق، والاندفاع)، وفي الوقت نفسه يبرئ سيّداً من قصد الإساءة إلى نبي الله وكليمه، وأحد أولي العزم من رسله، ولكن كما قال عن سيد أحد نقّاده: (دفعته قوة العاطفة، وسلاسة الأسلوب إلى كلام لا يَفْهم معناه).

والشيخ بكر لم يخالف أخاه الشيخ ربيعاً في هذا الأمر ولم يجادله.

ج) أما موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلا يليق به إلا ما وصفه الله تعالى به، ووصفه به رسوله ×؛ قال الله تعالى: {**يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي**}[الأعراف: 144] ، {**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ**} [طه: 13] ،

{**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**} [طـه:39] ، {**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**} [طـه: 41} ، {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً**} [الأحزاب: 69] ، وقال النبي ×: « يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » رواه البخاري.

ثانياً: ذم عثمان ر وانتقاص عهده:

أ) أنكر الشيخ ربيع ومن قبله الأستاذ محمود شاكر رحمه الله وغيره على سيد ـ عفا الله عنا وعنه ـ الطعن والقدح في الخليفة الراشد المهدي عثمان بن عفان ر، وانتقاص عهده بمثل ما يلي:

1) إسقاط سيد خلافة عثمان ر بقوله: (ونحن نميل إلى اعتبار خلافة علي ر امتداداً طبيعيّاً لخلافة الشيخين قبله، وأن عهد عثمان [الذي تحكّم فيه مروان] كان فجوة بينهما). (العدالة الاجتماعية ـ ص172- دار الشروق 1415). بعد التعديل.

2) ادّعاء سيد انحراف عهد عثمان ر عما أسماه: (النظرة الإسلامية والتصور الإسلامي في سياسة المال والحكم) في حياة النبي × وفي عهود الخلفاء الراشدين الثلاثة رضي الله عنهم بقوله: (فأما في حياة النبي × وصاحبيه وخلافة علي بن أبي طالب؛ فكانت النظرة السائدة هي النظرة الإسلامية... وأما حين انحرف هذا التصور قليلاً في عهد عثمان، فقد بقيت للناس حقوقُهم، وفهم الخليفة أنه في حِلٍّ ـ وقد اتسع المال عن المقررات للناس ـ أن يطلق فيه يده يبرَّ أهلَه، ومن يرى من غيرهم حسب تقديره). (العدالة الاجتماعية ـ ص168 ـ دار الشروق 1415).

3) تأكيد سيد انحراف عهد عثمان عن منهاج صاحبيه رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم بقوله: (هذا التصور للحكم [في عهد

أبي بكر وعمر] قد تغير شيئاً ما دون شك على عهد عثمان، وإن بقي في سياج الإسلام). (العدالة الاجتماعية ـ ص159 ـ دار الشروق 1415).

4) تأكيد سيد انحراف عهد عثمان ر عن منهاج النبي × وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الحكم بقوله: (وسار علي ر في طريقه يرد للحكم صورته كما صاغها النبي × والخلفيتان من بعده). (العدالة الاجتماعية ـ ص162 ـ دار الشروق 1415).

ولم يتنبَّه سيّد عفا الله عنه إلى أن شرع الله هو من وحيه تعالى، وليس من صياغة ولا تصور النبي × فمن دونه.

5) تأكيد سيّد انحراف الحكم (بل ونفوس الحكام والمحكومين) في عهد عثمان ر عما أسماه التصور الإسلامي بقوله: (جاء عليٌّ ليردَّ التصور الإسلامي إلى نفوس الحكام والناس). (العدالة الاجتماعية ـ ص162 ـ دار الشروق 1415).

6) اتهام سيّد عثمانَ ر بالانحراف عما أسماه روح الإسلام بقوله: (وإنه لمن الصعب أن نتّهم روحَ الإسلام في نفسِ عثمان، ولكن من الصعب كذلك أن نعفيه من الخطأ) (العدالة الاجتماعية ص160- دار الشروق - 1415).

7) اتهام سيّد عهد عثمان ر بكثير من الانحراف عن الإسلام بقوله: (لقد أدركت الخلافةُ عثمان وهو شيخٌ كبيرٌ، ومن ورائه مروان بن الحكم يصرِّفُ الأمر بكثير من الانحراف عن الإسلام). (العدالة الاجتماعية ـ ص159- دار الشروق1415).

8) اعتذاره لعثمان ر عن (الانحراف عن الإسلام، وروح الإسلام، والتصور الإسلامي، وصورة الحكم، كما صاغها النبي × وخليفتاه رضي الله عنهما) بقوله: (واعتذارنا لعثمان ر أن الخلافة قد جاءت إليه متأخرة... وهو يدلف إلى الثمانين

يلعب به مروان، فصار سيقة له يسوقه حيث شاء، بعد كِبَر السن وصحبته لرسول الله ×) [أخذ دعوى لعب مروان بعثمان ر وسياقته له من رواية مكذوبة على عليّ ر]. (العدالة الاجتماعية ـ ص161 ـ دار الشروق 1415).

9) تمجيد سيد الثوار على عهد عثمان ر بقوله: (تثور نفوس الذين أشربت نفوسهم روح الدين إنكاراً وتأثُّماً). (العدالة الاجتماعية ـ ص161 ـ دار الشروق1415).

10) تمجيد سيد الثورة على عثمان ر بقوله: (لا بد لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام، ويستشعر روح الإسلام أن يقرّر أن تلك الثورة في عمومها كانت فورة من روح الإسلام، وذلك دون إغفال لما كان وراءها من كيد اليهودي ابن سبأ عليه لعنة الله). (العدالة الاجنماعية ـ ص161 ـ دار الشروق1415).

11) ضمّ سيِّدٌ أبا ذر ر ـ بغير حق ـ إلى الثوار على عثمان ر، ونقل روايات عن نفيه إلى الربذة وخُطَبِهِ، أحرى بها أن تكون من جراب الأخباريين المنحرفين مثل: (لقد حدثت أعمال لا أعرفها، والله ما هي في كتاب الله، ولا سنة نبيّه، والله إني لأرى حقّاً يُطْفَأ، وباطلاً يُحْيَى، وصادقاً مكذَّباً، وأثرةً بغير تُقَى). (العدالة الاجتماعية) (ص174- دار الشروق1415).

قال سيّد عفا الله عنّا وعنه: (ولقد كانت هذه الصيحة يقظة ضمير لم تخدّره الأطماع أمام تضخم فاحش في الثروات، يفرّق الجماعة الإسلامية طبقات، ويحطّم الأسس التي جاء هذا الدين ليقيمها بين الناس). (العدالة الاجتماعية ـ ص175- دار الشروق1415).

ب) لم يخالف الشيخ بكر أخاه الشيخ ربيعاً ـ حفظهما الله قدوة صالحة ـ في إنكاره الطعن في عثمان ر، وأنَّى له أن يفعل،

وقد قال في كتابه: (تصنيف الناس بين الظن واليقين) (ص26): (أطبق أهل الملة الإسلامية على أن الطعن في واحد من الصحابة رضي الله عنهم زندقة مكشوفة).

ولكنه ظنّ أنّه اعتمد في انتقاده على طبعات سابقة من كتابي سيّد (العدالة الاجتماعية) و (في ظلال القرآن)، وأن مواضع نقده (نُسِخَت) بطبعات لاحقة.

والحقّ أن الشيخ ربيع بَيَّنَ الفرقَ بين ألفاظ الطبعات السابقة واللاحقة؛ حرصاً على أمانة النقل من كتاب (العدالة الاجتماعية)، أما (في ظلال القرآن): فقد استند إلى طبعة متأخرة لدار الشروق، وصفها ورثة سيّد رحمه الله بأنّها الطبعة الشرعية.

(والنّسخ) لا يصلح حجّة لترك التنبيه على أخطاء بقيت بضع عشرة سنة، يُكَرّر طبعها، ويقتنيها الأفراد والمكتبات، وتُعَدّ مرجعاً مهمّاً للمثقفين والمفكرين، ولأكثر شباب الأمة، وعُدّلت بعض ألفاظها النابية وبقي معناها.

ج) وعثمان بن عفان ر باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة: أفضل هذه الأمة بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وثالث الخلفاء الراشدين المهديين، الذين أُمِرْنا باتباع سنتهم، والمحافظة عليها: «... وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ » [رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم].

وروى مسلم في (صحيحه): أن النبي × قال عن عثمان ر: « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ».

وروى الإمام أحمد في (مسنده) أن النبي × قال لعثمان ر: « يا عثمان إن الله عز وجل عسى أن يلبسك قميصاً، فإن أرادك

المنافقون على خلعه فلا تفعل حتى تلقاني ».

وروى البخاري في (صحيحه) أن النبي × صعد أُحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال ×: (أُسْكن أُحُد، فليس عليك إلا نبيٌّ، وصدِّيقٌ، وشهيدان).

ثالثاً: لمز عدد من الصحابة رضي الله عنهم:

أ) أنكر الشيخ ربيع على سيّد عفا الله عنا وعنه لمز عدد من الصحابة أكثرهم من المبشرين بالجنة في مثل ما يلي:

1) رأى سيّد أن الانحراف في تصوّر معنى الحكم وسياسة المال بدأ صغيراً في عهد عمر، واستفحل في عهد عثمان رضي الله عنهما بقوله: (هذا هو الثراء الذي بدأ صغيراً بإيثار بعض المسلمين على بعض في أيام عمر، وكان معتزماً إبطاله [دعوى بلا سند]...ثم فشا فشوّاً ذريعاً بتجميع الأملاك والضياع وموارد الاستغلال، بما أباحه عثمان من شراء الأرضين في الأقاليم) [ومَنْ حَرَّمه؟]. (العدالة الاجتماعية ـ ص175 ـ دار الشروق).

2) في مقابل وَصْفِه عامة الثوار على عثمان ر بقوله: (تثور نفوس الذين أشربت نفوسهم روح الدين إنكاراً وتأثّماً)، وَصَفَ عامَّة الذين برّهم عثمان بقوله: (وتنحّل نفوس الذين لبسوا الإسلام رداء، ولم تخالط بشاشته قلوبهم، والذين تجرفهم مطامع الدنيا، ويرون الانحدار مع التيار، وهذا كله قد كان في أواخر عهد عثمان). (العدالة الاجتماعية ـ ص161ـ دار الشروق 1415).

3) وضرب مثلاً للتضخم الفاحش في الثروات الذي ظنّ أنه (يحطّم الأسس التي جاء هذا الدين ليقيمها بين الناس)، ومثلاً للذين (جرفتهم مطامع الدنيا)، في مقابل مثل أبي ذر ر الذي (كان ضميره يقظاً، فلم تخدّره الأطماع)، ومثل الثوار على

عثمان ر (الذين أشربت نفوسهم روح الدين إنكاراً وتأثّماً) بقوله مستنداً إلى رواية مجروحة عن أخباري منحرف: (وبحسبنا أن نعرض هنا نموذجاً للثروات الضخام أورده المسعودي، قال: في أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال، فكان لعثمان يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة ألف ألف درهم... وبلغ الثمن من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخلّف ألف فرسٍ وألف أَمَة، وكانت غلّة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم، وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس، وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم، وخلّف زيد بن ثابت من الذهب والفضة ما يكسر بالفؤوس، وبنى سعد بن أبي وقاص دارة بالعقيق، ورفع سمكها وأوسع فضاءها، وبنى المقداد دارة بالمدينة وجعلها مجصّصة الظاهر والباطن، وخلّف يعلى بن منبه خمسين ألف دينار، وما قيمته ثلاثمائة ألف درهم). (العدالة الاجتماعية ـ ص175ـ دار الشروق1415).

4) ونقل رواية مكذوبة على عليٍّ ر أنه قال في وصف معاوية ر: (والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر) (العدالة الاجتماعية ـ ص164- دار الشروق 1415).

5) وضرب مثلاً لإبراز مظاهر التحول والانحسار فيما أسماه الروح الإسلامي برواية غير مسندة لخطبتين نسبهما لمعاوية ر. (العدالة الاجتماعية ـ ص167- دار الشروق1415).

6) وخصَّ معاويةَ وعمرو بن العاص رضي الله عنهما بأقذع الشتائم: (وحين يركن معاوية وزميله [عمرو] إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم لا يملك عليٌّ أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل). (كتب وشخصيات ـ ص242 ـ

دار الشروق).

ب) لم يخالف الشيخ بكر أخاه الشيخ ربيعاً في إنكاره هذا المنكر، وأنّى له أن يفعل، وقد استدل بقول أبي زرعة الرازي رحمه الله تعالى في (فتح المغيث) (94/4): (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله × فاعلم أنه زنديق، وذلك أن القرآن حق، والرسول حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة) (تصنيف الناس بين الظن واليقين ـ ص26 ـ دار العاصمة 1414).

قال الشيخ بكر ـ حفظه الله قدوة صالحة ـ: (وقد أجرى العلماء هذا الحكم بمن قدح في أحد من حَمَلَة الشرع المطهر؛ لأن القدح بالحامل يفضي إلى القدح بما يحمله من رسالة البلاغ لدين الله وشرعه، ولهذا أطبق العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ على أن من أسباب الإلحاد: القدح بالعلماء). (تصنيف الناس بين الظن واليقين ـ ص26-27- دار العاصمة 1414).

وأجرى الشيخ بكر هذا الحكم بمن قدح في علماء السنة بعد القرون المفضلة فقال: (وما زالت ثائرة أهل الأهواء توظِّف هذه المكيدة في ثَلْب علماء الأمة، فقد لَجُّوا في الحطِّ على شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ؛ لأنه عمدة في القرون المتأخرة لإحياء منهاج السلف ونشروا في العالم التشنيع على دعوة علماء السلف في قلب الجزيرة العربية بالرجوع إلى الوحيين الشريفين، ونبزهم بشتى الألقاب للتنفير). (تصنيف الناس بين الظن واليقين ـ ص28 ـ دار العاصمة 1414).

وذكر الشيخ بكر ـ حفظه الله قدوة صالحة ـ طرفاً من هذه الألقاب منها: (مداهن)، (من علماء السلطان)، (من علماء الوضوء والغسل)، [والحيض والنفاس]. (تصنيف الناس بين الشك واليقين ـ ص10- دار العاصمة 1414).

ج) والأستاذ سيد قطب رحمه الله كان الأحرى به أن يسلك مسلك الشيخين بكر وربيع في ذبّهما عن حملة الشرع المطهّر من الخلفاء الراشدين المهديين، ومن السابقين الأولين من أصحاب رسول الله ×، وقد بكَّتَ لجنة الفتوى المصرية؛ لأنها خالفت أبا ذر ر: (وكأنها تزعم لنفسها بصراً بالدين أكثر من بصره بدينه). (العدالة الاجتماعية - ص124- دار الشروق 1415).

ولما كان لا يرضى لعلماء في الشريعة مخالفة صحابي في تفسير الكَنْز (معتمدين على قول صحابي أفضل منه) فكيف يرضى لكاتب غير عالم بالشرع أن يخالف الخليفة الثالث الذي أُمِرَ باتباع سنته، وأن يخالف عدداً من كبار الصحابة والمبشرين بالجنة، وهذا معاوية ر الذي نال نصيباً أكبر في القدح (استكتبه رسول الله ×، وروى عنه بضعة عشر حديثاً في (الصحيحين) أو في أحدهما ونحواً من مائة وخمسين حديثاً في غيرهما، وولاه أبو بكر ر قيادة جيشٍ فَتَح عدداً من بلاد الشام، وولاه عمر ر الأردن، ثم دمشق، وولاه عثمان ر (وقيل: بل ولاه عمر ر عنه قبله) كل بلاد الشام ، ونزل له الحسن بن علي ر عن ولاية المسلمين، وبلغت فتوحاته المحيط الأطلسي وعُدَّ بذلك من عظماء الفاتحين في الإسلام، وعمرو بن العاص ر روى عن النبي × عشرات الأحاديث منها ثلاثة في (الصحيحين) وثلاثة في أحدهما؛ وولاّه رسول الله × قيادة بعض الجيش؛ وكذلك عمر بن الخطاب ر ولاه فلسطين والأردن ثم كتب إليه عمر ر فسار إلى مصر وافتتحها، فولي إمارتها زمن عمر وصدراً من زمن عثمان ر، وشهد اليرموك وأبلى بلاء حسناً، وصالح أهل حلب وأنطاكية، وافتتح سائر قنسرين عنوة). (سير أعلام النبلاء) للذهبي.

رابعاً: القول بوحدة الوجود:

أ) أنكر الشيخ ربيع على الأستاذ سيّد القول بوحدة الوجود في مثل ما يلي:

1) قول سيد في تفسير سورة الحديد: ({**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ**} [الحديد: 3] مستغرقاً كل حقيقة الزمان، {**وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**} [الحديد: 3]: مستغرقاً كل حقيقة المكان وهما مطلقان، ويتلفّت القلب البشري فلا يجد كينونة لشيء إلا لله... فهذا الوجود الإلهي هو الوجود الحقيقي الذي يستمد منه كل شيء وجوده، وهذه الحقيقة هي الحقيقة الأولى التي يستمد منها كل شيء حقيقته، وليس وراءها حقيقة ذاتية، ولا وجود ذاتي لشيء في هذا الوجود) (في ظلال القرآن - 3479/6 - دار الشروق).

2) وقوله: (لا كينونة لشيء في هذا الوجود على الحقيقة؛ فالكينونة الواحدة الحقيقية هي لله وحده ، وإن استقرار هذه الحقيقة في قلبٍ لِيُحِيله قطعةً من هذه الحقيقة؛ فأما قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار؛ فإن هذه الآية القرآنية حسبه، ليعيش في تدبرها وتصور مدلولها) (في ظلال القرآن - 3479/6- دار الشروق).

3) وقوله في تفسير سورة الإخلاص: (إنها أحدية الوجود، فليس هناك حقيقة إلا حقيقته، وليس هناك وجود إلا وجوده). (في ظلال القرآن - 4002/6- دار الشروق).

4) وقوله: (ومتى استقر هذا التصور الذي لا يرى في الوجود إلا حقيقة الله، فستصحبه رؤية هذه الحقيقة في كل وجود آخر انبثق عنها، وهذه درجة يرى القلب فيها يد الله في كل شيء، ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئاً في الكون إلا الله؛

لأنه لا حقيقة هناك تراها إلا حقيقة الله). (في ظلال القرآن - 4003/6- دار الشروق).

5) وقوله: (من هنا [الحقيقة الواحدة أو أحدية الوجود] ينبثق منهج كامل للحياة... منهج لعبادة الله وحده الذي لا حقيقة لوجود إلا وجوده... ومنهج للتلقي عن الله وحده؛ فالتلقي لا يكون إلا عن الوجود الواحد والحقيقة المفردة في الواقع والضمير... ومنهج يربط - مع هذا - بين القلب البشري وبين كل موجود برباط الحب والأنس والتعاطف والتجاذب... فكلها خارجة من يد الله وكلها تستمد وجودها من وجوده، وكلها تفيض عليها أنوار هذه الحقيقة فكلها إذن حبيب؛ إذ هي هدية من الحبيب) (في ظلال القرآن - 4003/6 - دار الشروق).

ب) يبرّئ الشيخُ بكر الأستاذَ سيد من الاعتقاد بوحدة الوجود، بدليل قوله في تفسير سورة البقرة: (ومن هنا تنتفي من التفكير الإسلامي الصحيح فكرة وحدة الوجود)، وأن (في كتابه (مقومات التصور الإسلامي) رداً شافياً على القائلين بوحدة الوجود، فنحن نقول: غفر الله لسيّد كلامه المتشابه الذي جنح فيه بأسلوب وسّع فيه العبارة؛ والمتشابه لا يقاوم النص الصريح القاطع من كلامه) (ص7-8).

وقد ردّ الأستاذ محمد قطب على متهمي شقيقه سيد بفكرة وحدة الوجود بمثل هذا الرد مستدلاً بقول سيد قطب في (مقومات التصور الإسلامي): (إن التصور الإسلامي يفصل فصلاً تاماً بين طبيعة الألوهية وطبيعة العبودية، وبين مقام الألوهية ومقام العبودية، وخصائص الألوهية وخصائص العبودية فهما لا تتماثلان ولا تتداخلان). (ص81). وبتقريره (شمول العبودية لكل شيء وكل حيّ، وتجريدها من خصائص

الألوهية جميعاً). (ص116 ـ ط. دار الشروق).

ج) ومع أنّي أبرأُ إلى الله مع الشيخ بكر والشيخ ربيع أيضاً من تكفير سيّد بمجرد أقوال متناقضة عن وحدة الوجود وغيرها؛ فإن (من الأوبة إلى العدل والإنصاف) التنبه إلى ما يلي:

1) لم يتوقف الأستاذ سيّد ـ تجاوز الله عنا وعنه ـ في الكلام عن وحدة الوجود والكينونة عند توسيع العبارة والتمدد بالأسلوب والجنوح بقول (متشابه)، (كما قال الشيخ بكر)، أو (موهم)، (كما أشار الأستاذ محمد قطب)؛ فقد صرح في تفسير سورة الحديد بقوله: (ولقد أخذ المتصوفة بهذه الحقيقة الأساسية الكبرى [أحدية الوجود والكينونة]، وهاموا بها وفيها، وسلكوا إليها مسالك شتى، بعضهم قال: إنه رأى اللهَ في كل شيء في الوجود ، وبعضهم قال: إنه رأى الله من وراء كل شيء في الوجود ، وبعضهم قال: إنه رأى الله فلم يرَ شيئاً في الوجود؛ وكلها أقوال تشير إلى الحقيقة إذا تجاوزنا عن ظاهر الأقوال القاصرة في هذا المجال، إلا أن ما يؤخذ عليهم على وجه الإجمال هو أنهم أهملوا الحياة بهذا التصور، والإسلام في توازنه المطلق يريد من القلب البشري أن يدرك هذه الحقيقة ويعيش بها ولها). (في ظلال القرآن ـ 3480/6 ـ دار الشروق).

وقال في تفسير سورة الإخلاص: (وهذه مدارج الطريق التي حاولها المتصوفة، فجذبتهم إلى بعيد، ذلك أن الإسلام يريد من الناس أن يسلكوا الطريق إلى هذه الحقيقة [أحدية الوجود]، وهم يكابدون الحياة الواقعية بكل خصائصها، شاعرين مع هذا أن لا حقيقة إلا الله، وأن لا وجود إلا وجوده) (في ظلال القرآن ـ 4002/6 – دار الشروق).

إذن (فأحدية الوجود والكينونة) عند سيّد، هي: وحدة الوجود عند المتصوفة التي (يريد الإسلام من القلب البشري أن يدركها، ومن الجوارح أن تعيش بها ولها)، ولا يخالف الأستاذُ سيد المتصوفةَ إلا في (إهمالهم الحياة بهذا التصور).

2) محيي الدين بن عربي (أو موهي الدين في لفظ الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله، أو الشيخ الأكبر كما يصفه أقرب المفكرين الإسلاميين إلى منهاج أهل السنة فضلاً عن أبعدهم) صرّح بأنه لا يجيز القول بوحدة الوجود في (الفتوحات المكية)، مع أن أكثر علماء أهل السنة وطلاب علم الشريعة لا يذكرون وحدة الوجود إلا مقرونة باسمه، وحكم العلماء على ما يظهر من أقواله عن وحدة الوجود بالكفر من ابن تيمية السلفي القريب من عصره إلى البقاعي الصوفي القريب من عصرنا، وتكفير القول لا يلزم منه بالضرورة تكفير القائل إلا إذا تحققت شروطه الشرعية وانتفت موانعه ، والله يعلم ما مات عليه سيد وابن عربي وغيرهما.

3) إذا كان هذا الكلام المتشابه أو الموهم من كلام سيد قطب عفا الله عنا وعنه فَهِمَ بعضُ كبار العلماء مثل الشيخ محمد بن عثيمين والشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ومعهم أو قبلهم الشيخ عبد الله الدويش، وليس الشيخ ربيع وحده، فهموا منه جميعاً القول بوحدة الوجود، فكيف بعامة الناس ؟ ومنهم الشباب الذين يجرّهم الحماس والعاطفة إلى الأخذ بأقوال سيد رحمه الله دون تمحيص.

واجب الدعاة إلى الله على بصيرة، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر: بيان مثل هذه الأخطاء من القول (مهما تكن منازل قائليها) ـ كما سبق النقل عن سيد رحمه الله ـ ، والتحذير من الوقوع

في حبائل الشيطان بتسويغ أخطاء العلماء فضلاً عن المفكرين (الإسلاميين) ، وفي الحديث الصحيح: « كلّ ابن آدم خطّاء ».

4) ولا عجب من اختلاف وتناقض الفكر في مثل الجمع بين نفي عقيدة وحدة الوجود في موضع، وإثباتها في مواضع، كما يظهر في فكر ابن عربي العالم الصوفي، وسيد قطب الكاتب الحركي ، فالاختلاف والتناقض سمة لازمة للفكر البشري، قال الله تعالى: {**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً**} [النساء: 82].

وما أُتيَ المفكرون ـ قديماً وحديثاً ـ إلا من جهة اشتغالهم بالفكر الظني المضطرب عن وحي الله اليقيني الثابت، وبسلاسة الأسلوب عن الفقه في الدين.

خامساً: إباحة التشريع للمصلحة أو العُرْف:

أ) أنكر الشيخ ربيع على سيد إباحته للدولة سنّ تشريعات تبعاً للعرف العالمي أو للمصلحة في مثل ما يلي:

1) قال في تفسير قول الله تعالى:{**وَفِي الرِّقَابِ**} [التوبة:60]: (وذلك حين كان الرق نظاماً عالمياً تجري المعاملة فيه على المثل في استرقاق الأسرى بين المسلمين وأعدائهم، ولم يكن للإسلام بد من المعاملة بالمثل حتى يتعارف العالم على نظام آخر غير الاسترقاق). (في ظلال القرآن - 1669/3- دار الشروق).

وقال مثل هذا في الصفحات(230/1، 2455/4، 3285/6) من كتابه (في ظلال القرآن).

2) وقال: (في يد الدولة أن تفرض ضرائب خاصة غير الضرائب العامة كما تشاء؛ فتخصص ضريبة للجيش، وضريبة للتعليم، وضريبة للمستشفيات، وضريبة للضمان الاجتماعي،

وضريبة لكل وجه طارئ لم يحسب حسابه في المصروفات العامة، أو تعجز الميزانية العادية عن الإنفاق عليه عند الاقتضاء). (معركة الإسلام والرأسمالية ـ ص43- دار الشروق 1993م ط13).

3) وقال: (في يد الدّولة أن تنزع الملكيّات والثّروات جميعاً وتعيد توزيعها على أساس جديد ، ولو كانت هذه الملكيّات قد قامت على الأسس التي يعترف بها الإسلام ونَمَتْ بالوسائل التي يبرّرها) (المصدر نفسه ـ ص44).

4) وقال: (حق المجتمع مطلق في المال، وحق الملكية الفردية لا يقف في وجه هذا الحق العام، والإسلام يعطي هذه السلطات للدولة ـ ممثلة المجتمع ـ لا لمواجهة الحاجات العاجلة فحسب، بل لدفع الأضرار المتوقعة). (المصدر نفسه ـ ص43).

5) ولم يكفه أن المملكة المصرية (سنّت ضريبة التركات وضريبة الدخل العام، وأخذت بمبدأ الضريبة التصاعدية)؛ فهي (خطوات هزيلة لا يبدو لها أثر؛ لأن الأوضاع القائمة قد بلغت من الفحش والسوء مبلغاً لا تعالجه هذه اللمسات الناعمة بقفازات الحرير اللطيفة). (المصدر نفسه ـ ص39).

6) وقال: (مبدأ الملكية الفردية في الإسلام لا يمنع تبعاً لهذا ـ المصالح المرسلة وسد الذرائع ـ أن تأخذ الدولة نسبة من الربح أو نسبة من رأس المال ذاته). (العدالة الاجتماعية ـ ص123- دار الشروق 1415).

7) وقال: (الإسلام يَعُدُّ العمل هو السبب الوحيد للملكية والكسب، ورأس المال في ذاته ليس سبباً من أسباب الكسب الصحيحة). (معركة الإسلام والرأسمالية ـ ص40- دار

الشروق 1993م ط13).

ثم يقول: (فأما القاعدون الذين لا يعملون فثراؤهم حرام، وعلى الدولة أن تنتفع بذلك الثراء لحساب المجتمع، وأن لا تدعه لذلك المتبطل الكسلان). (المصدر نفسه ـ ص52). ولم يقل مَنْ حرم هذا.

ويَسْتنتج من هذا التشريع الجديد، أو يَسْتدل عليه بقوله:(العبادة ليست وظيفة حياة، وليس لها إلا وقتها المعلوم {**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ**} [الجمعة: 10]) (معركة الإسلام والرأسمالية) (ص52- دار الشروق 1993م ط13).

وفاته – عفا الله عنّا وعنه – أن العبادة هي وظيفة الحياة، قال تعالى: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**} [الذاريات: 56] وأن الأمر بالانتشار بعد الصلاة للإباحة باتفاق.

8) ويرى أنه: (لا بد أن يوجد المجتمع المسلم أوَّلاً بتركيبه العضوي... وساعتها قد يُحتاج إلى البنوك، وشركات التأمين وتحديد النسل...إلخ، وقد لا يُحتاج! ذلك أننا لا نملك أن نقدّر أصل حاجته ولا حجمها ولا شكلها حتى نُشرّع لها سلفاً). (في ظلال القرآن) (2010/4- دار الشروق).

ب) يستبعد الشيخ بكر أن يبيح الأستاذ سيد قطب التشريع البشري، بحجة: (مابنى عليه حياته، ووظّف له قلمه من الدعوة إلى توحيد الله تعالى في الحكم والتشريع، ورَفْض سن القوانين الوضعية، والوقوف في وجه الفعلة لذلك). (ص7-6).

ج) ولكن ما نقله الشيخ ربيع من ثلاثة من كتبه ـ ومثله كثير فيها وفي غيرها ـ لا تترك مجالاً للشك ولا للجدل حول إباحة سيد عفا الله عنا وعنه التشريع البشري للمصلحة فيما يتعلق

بنزع الممتلكات التي ملكها أصحابها بطريق مشروع، وفرض الضرائب العامة أو الخاصة، واستيلاء الدولة على نسبة من الربح أو رأس المال ـ عند وقوع الحاجة أو توقعها ـ، ولمتابعة العرف الدولي فيما يتعلق بإلغاء الرق، والنفي لا يطاول الإثبات.

واضطراب الفكر وتقلبه واختلافه ـ كما أسلفت ـ هو الجاني، وأما سيد وغيره من المفكرين والكتاب (الإسلاميين)، فلا نشك في حسن نيتهم ولا في سوء أقوالهم وأعمالهم، ونرى (مع الشيخ ربيع والشيخ بكر والأستاذ سيّد نفسه) بيان أخطائهم.

سادساً: جهل معنى لا إله إلا الله، والألوهيّة والربوبيّة:

أ) أنكر الشيخ ربيع على الأستاذ سيد تفسير (لا إله إلا الله) بغير معناها الصحيح في الشرع واللغة، والخلط بين معنى الألوهية ومعنى الربوبية في التوحيد، في مثل ما يلي:

1) قال سيد عفا الله عنا وعنه: (كانوا [العرب] يعرفون من لغتهم معنى (إله)، ومعنى (لا إله إلا الله)، كانوا يعرفون: أن الألوهية تعني الحاكمية...كانوا يعلمون: أن (لا إله إلا الله) ثورة على السلطان الأرضي الذي يغتصب أولى خصائص الألوهية). (في ظلال القرآن ـ 1005/2- دار الشروق).

2) وقال: (لا إله إلا الله ، كما كان يدركها العربي العارف بمدلولات لغته: لا حاكمية إلا لله). (في ظلال القرآن ـ 1006/2- دار الشروق).

3) وقال: (أخص خصائص الألوهية هي: الربوبية،

والقوامة، والسلطان، والحاكمية) (في ظلال القرآن) (1852/4- دار الشروق).

4) وقال: ({**وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**} [القصص: 70]؛ أي: لا شريك له في الخلق والاختيار). (في ظلال القرآن - 2707/5- دار الشروق).

5) وقال: ({**إِلَهِ النَّاسِ**} [الناس: 3]، والإله هو المستعلي المستولي). (في ظلال القرآن - 4010/6 – دار الشروق).

6- وقال: (لا إله إلا الله ، أي: لا حاكمية إلا لله ، حاكمية تتمثل في قضائه وقدره ، كما تتمثل في شرعه وأمره). (العدالة الاجتماعية - ص182- دار الشروق 1415هـ).

بيَّن الشيخ ربيع وفقه الله أنه ليس لسيد سَلَف في هذا التأويل من الصحابة وعلماء الأمة؛ فالحاكمية: إنما هي معنى من معاني الربوبية، ضيع به سيد المعنى الأعظم لهذه الكلمة: (لا إله إلا الله).

قال ابن جرير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: {**وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**} [القصص: 70]: (وربك يا محمد المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له) (102/20).

وقال ابن كثير رحمه الله: (أي: المنفرد بالإلهية، فلا معبود سواه، كما لا رب يخلق ما يشاء ويختار سواه) (438/3- مكتبة دار السلام 1413).

وبين الشيخ ربيع وفقه الله الفرق بين صفتي الحكم والخلق وبين العبادة: بأن الأُوليَين من صفات الله تعالى، أما الثانية فهي من صفات المخلوق. (أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره - ص60-61 عام1414هـ).

7) وقال سيد – عفا الله عنا وعنه-: (فقضية الألوهية لم تكن

محل خلاف، وإنما قضية الربوبية هي التي كانت تواجهها الرسالات، وهي التي واجهتها الرسالة الأخيرة). (في ظلال القرآن - 1846/4- دار الشروق).

8) وقال: (وما كان الخلاف على مدار التاريخ بين الجاهلية والإسلام، وبين الحق والباطل على ألوهية الله سبحانه... إنما كان الخلاف وكانت المعركة على من يكون هو رب الناس). (في ظلال القرآن - 1852/4- دار الشروق).

9) وقال: (فالألوهية قلَّما كانت موضع جدال في معظم الجاهليات، وبخاصة في الجاهلية العربية، إنما كان دائماً موضع الجدل هو قضية الربوبية). (في ظلال القرآن - 2111/4- دار الشروق).

قال الشيخ ربيع وفقه الله: الإله عند العرب (علماء الشريعة، وعلماء اللغة، والعامة) هو المعبود الذي يُتَقرَّب إليه بالعبادة: الدعاء والخوف والرجاء والصلاة والصوم والحج وغيرها، وليس معناه عندهم الحَكَم الذي يتحاكم إليه؛ لقد كان لهم سادة وأمراء وقضاة يتحاكمون إليهم، ولا يسمونهم آلهة، وكان لهم أوثان وأصنام [يسمونها آلهة و] يعبدونها ولا يسمونها حكّاماً ولا عبادتها تحاكماً، وكانوا يعترفون لله بالربوبية، قال الله تعالى: {**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**} [العنكبوت: 61].. وقال تعالى: {**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ**} [يونس: 31]، وكانوا إنما يخالفون الرسل في الألوهية؛ قال الله تعالى عنهم: {**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**} [ص: 5]، قال

ابن كثير في (تفسيره): (أي أزعَمَ أن المعبود واحد، لا إله إلا هو؟ أنكر المشركون قبّحهم الله تعالى وتعجّبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان) (30/4).

ب) أما الشيخ بكر وفقه الله فيستبعد وقوع سيد رحمه الله في مثل هذا الخطأ الفاحش؛ (بما قرره من معالم التوحيد ومقتضياته ولوازمه التي تحتل السمة البارزة في حياته الطويلة، وبتركيزه على توحيد الله تعالى في الحكم والتشريع) (ص8-9) من رسالته الخاصة (المفترى عليه نشرها).

ج) ولم ينكر الشيخ ربيع ولا غيره تركيز سيد على توحيد الله في الحكم والتشريع ـ جزئيّاً على الأقل ـ لأنه كما تقدم (ص42-46) استثنى التشريع للحاجة والمصلحة والعرف العالمي، بل إنه رحمه الله أفرط في التركيز على الحاكمية إلى درجة تفريطه ـ عفا الله عنا وعنه ـ في العبودية، إذ جعل الحاكمية، والربوبية، والقوامة والسلطان؛ أخص خصائص الألوهية، وعلى هذا لم يصرف اهتماماً يذكر للشرك الأكبر: صرف العبادة لغير الله؛ من دعاء، وذبح، ونذر، وطلب مدد، بل قال بصريح العبارة بأن عبّاد الأصنام (ماكان شركهم الحقيقي من هذه الجهة [عبادة الأصنام]، ولا كان إسلام من أسلم منهم متمثّلاً في مجرد التخلي عن الاستشفاع بهذه الأصنام) (في ظلال القرآن ـ 1492/3- دار الشروق).

وفي الوقت نفسه جعل اتّباع البشر في الأخلاق، والتقاليد، والعادات، والأزياء، مزاولة للشرك في أخص حقيقته، ومخالفة لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله في أخص حقيقتها، ولو توجه العبد إلى الله في ألوهيته وحده، ودان لشرع الله في الوضوء والصلاة والصوم وسائر الشعائر). (في ظلال القرآن 2114/4- دار الشروق).

بل جعل من الشرك الواضح الظاهر: (الدينونة في تقليد من

التقاليد، كاتخاذ أعياد ومواسم يشرعها الناس ولم يشرعها الله، والدينونة في زي من الأزياء يخالف ما أمر الله به من الستر، ويكشف – أو يحدّد – العورات التي نصت شريعة الله أن تُستر). (في ظلال القرآن - 2033/4- دار الشروق).

سابعاً: تكفير المسلمين:

أ) أنكر الشيخ ربيع على الأستاذ سيّد – تجاوز الله عنا وعنه – تكفير جماعة المسلمين دولاً وشعوباً بمثل ما يلي:

1) قول سيّد – عفا الله عنا وعنه -: (يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة... لا لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله، ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله، ولكنها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها... فهي - وإن لم تعتقد بألوهية أحد إلا الله - تعطي أخص خصائص الألوهية لغير الله، فتدين بحاكمية غير الله، فتتلقى من هذه الحاكمية نظامها، وشرائعها، وقيمها، وموازينها ، وعاداتها، وتقاليدها... موقف الإسلام من هذه المجتمعات الجاهلية كلها يتحدد في عبارة واحدة: أن يرفض الاعتراف بإسلامية هذه المجتمعات كلها). (معالم في الطريق - ص101-103- دار الشروق).

2) وقال: (ارتدت البشرية إلى عبادة العباد وإلى جور الأديان؛ ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منها يردد على المآذن: لا إله إلا الله). (في ظلال القرآن - 2009/4- دار الشروق).

4) وقال عن مشركي الجاهلية: (إنما كان شركهم الحقيقي يتمثل ابتداءً في تلقي منهج حياتهم وشرائعهم من غير الله، [لا عبادة الأصنام تقرباً واستشفاعاً إلى الله]، الأمر الذي يشاركهم

فيه اليوم أقوام يظنون أنهم مسلمون على دين محمد، كما كان المشركون يظنون أنهم مهتدون على دين إبراهيم). (في ظلال القرآن - 1492/3- دار الشروق).

5) وقال: (والذين لا يفردون الله بالحاكمية في أي زمان وفي أي مكان هم مشركون، لا يخرجهم من هذا الشرك أن يكون اعتقادهم أن لا إله إلا الله مجرد اعتقاد، ولا أن يقدموا الشعائر لله وحده) (في ظلال القرآن - 1492/2- دار الشروق).

قال الشيخ ربيع وفقه الله: (إن النجاشي كان إسلامه مجرد اعتقاد أن لا إله إلا الله؛ أي: لا معبود بحق إلا الله، فلم يطبق الحاكمية في المعاملات، ولا [الأعياد]، ولا التقاليد، ولا الأزياء، ولا النظام في دولته بالحبشة، ومع ذلك صلّى عليه النبي × وأصحابه، أفرأيت لو أنه طبق الحاكمية [فيما ذكرنا]، ولم يؤمن بعقيدة التوحيد، أيعدّ مؤمناً؟). (أضواء على عقيدة سيد قطب وفكره - ص80- عام 1414).

6) وقال في تفسير قول الله تعالى: {**وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً**} [يونس: 87] بعد أن قرر فيما سبق دخول مسلمي العصر في إطار المجتمع الجاهلي: (وهنا يرشدهم الله إلى اعتزال معابد الجاهلية [مساجدها]، واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي). (في ظلال القرآن - 1816/3- دار الشروق).

7) وقال: (إنه لا نجاة للعصبة المسلمة في كل أرض من أن يقع عليها العذاب إلا بأن تنفصل عقيديّاً وشعوريّاً ومنهج حياة عن أهل الجاهلية من قومها، حتى يأذن الله لها بقيام دار إسلام تعتصم بها، وإلا أن تشعر شعوراً كاملاً بأنها هي الأمة المسلمة، وأن ما حولها ومن حولها ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه جاهلية، وأهل جاهلية). (في ظلال القرآن - 2122/4- دار

الشروق).

8) وقال: (إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم؛ قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي). (في ظلال القرآن - 4122/4- دار الشروق).

9) وقال: (ونقطة البدء الصحيحة في الطريق الصحيحة هي أن تتبين حركات البعث الإسلامي أن وجود الإسلام قد توقّف... هذا طريق، والطريق الآخر أن تظن هذه الحركات لحظة واحدة أن الإسلام قائم، وأن هؤلاء الذين يدّعون الإسلام ويتسمّون بأسماء المسلمين هم فعلاً مسلمون...فإن سارت الحركات في الطريق الأول سارت على صراط الله وهداه... وإن سارت في الطريق الثاني فستسير وراء سراب كاذب، تلوح لها فيه عمائم تحرّف الكلم عن مواضعه، وتشتري بآيات الله ثمناً قليلاً، وترفع راية الإسلام على مساجد الضرار). (العدالة الاجتماعية - (ص216- دار الشروق 1415هـ).

10) وقال: (ونحن نعلم أن الحياة الإسلامية - على هذا النحو - قد توقّفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض، وأن وجود الإسلام ذاته - مِنْ ثَمّ - قد توقّف كذلك). (العدالة الاجتماعية - ص185- دار الشروق 1415).

11) وقال: (البشرية عادت إلى الجاهلية، وارتدّت عن لا إله إلا الله، فأعطت لهؤلاء العباد [الذين شرعوا التقاليد والعادات، والأعياد والأزياء] خصائص الألوهية، ولم تعد توحّد الله وتخلص له الولاء؛ البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله بلا مدلول ولا واقع، وهؤلاء أثقل إثماً وأشد عذاباً يوم القيامة، لأنهم ارتدّوا إلى عبادة العباد بعدما تبين لهم الهدي،

ومن بعد أن كانوا في دين الله). (في ظلال القرآن - 1057/2- دار الشروق).

12) ولا غرابة في أقواله السابقة عن مسلمي هذا العصر؛ فقد قال عن الذين زعم أنّ عثمان ر آثرهم بالمناصب والمال من الصحابة والتابعين أنهم: (الذين لبسوا الإسلام رداءً ولم تخالط بشاشته قلوبهم، والذين تجرفهم مطامع الدنيا ويرون الانحدار مع التيار). (العدالة الاجتماعية - ص161- دار الشروق 1415).

13) وقال عن رواية غير مسندة لخطبة المنصور العباسي في القرن الثاني: (وبذلك خرجت سياسة الحكم نهائياً من دائرة الإسلام وتعاليم الإسلام). (العدالة الاجتماعية - ص168- دار الشروق 1415).

14) وقال في تفسير قول الله تعالى: **{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ}** [يوسف: 106] بعد أن ذكر الشرك الخفي: (وهناك الشرك الواضح الظاهر، وهو الدينونة لغير الله في شؤون الحياة؛ الدينونة في شرع يتحاكم إليه، وهو نص في الشرك لا يجادل عليه، والدينونة في تقليد من التقاليد؛ كاتخاذ أعياد ومواسم يشرعها الناس ولم يشرعها الله، والدينونة في زي من الأزياء يخالف ما أمر الله به من التستر، ويكشف أو يحدد العورات التي نصت شريعة الله أن تستر). (في ظلال القرآن - 2033/4- دار الشروق).

قال الشيخ ربيع وفقه الله: (وفي هذا الكلام أمران خطيران:

أولهما: تكفير المجتمعات الإسلامية بالمعاصي والمخالفات الواقعة في العادات والتقاليد والأزياء، وهذا المذهب أشد خطراً من مذهب الخوارج السابقين.

وثانيهما: تأويل القرآن بغير ما أراد الله بالشرك، إذ المراد بالشرك هنا ما استقر في القرآن والسنة وعرفه المسلمون، وهو الشرك الأكبر المطلق، وهو اتخاذ أندادٍ مع الله يُدْعون، ويستغاث بهم، ويذبح لهم، ويتقرب إليهم، ويصرف لهم [شيء] من العبادات التي أمرهم الله أن يعبدوه بها، ويخلصوا بها الدين لله). (أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره ـ ص77- عام1414).

قال الله تعالى: **{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}** [الأحقاف: 5-6].

ب) لم يُبد الشيخ بكر وفقه الله موافقة ولا مخالفة للإنكار على سيد ـ عفا الله عنا وعنه ـ تكفيره المسلمين حين يخضعون لنظم، أو تقاليد، أو عادات، أو مواسم، أو أزياء لم يشرعها الله وإنما شرعها الناس.

ولكنه أنكر على كل مسلم ما هو دون التكفير من سبٍّ واتّهام وتنابز بالألقاب، في كتابه: (تصنيف الناس بين الظن واليقين). بل أنكر في الرسالة الخاصة (المفترى عليه نشرها): ما يمكن أن يفهم منه التكفير بقول يوهم أو يعلن: وحدة الوجود، وخلق القرآن، وانتقاص نبي أو خليفة أو صحابي، وإجازة تشريع لم يأذن به الله للمصلحة أو العرف العالمي.

وقال الشيخ بكر وفقه الله في مؤلفه: (درء الفتنة عن أهل السنة): (لا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر بالعبد أن يصير كافراً الكفر المطلق الناقل عن الملة حتى يقوم به أصل الكفر بناقض من نواقض الإسلام... فالواجب وضع النصوص في مواضعها، وتفسيرها حسب المراد منها من العلماء العاملين

الراسخين... وعلى الناصح لنفسه أن يحس بخطورة الأمر ودقّته وأن يقف عند حده) (ص61 ـ ط2 دار العاصمة)، وبعد أن أورد عدداً من نصوص الكتاب والسنة في: (التحذير الشديد والنهي الأكيد عن سوء الظن بالمسلم فضلاً عن النيل منه فكيف بتكفيره) ،قال زاده الله توفيقاً: (فهذه النصوص وغيرها فيها الوعيد الشديد لمن كفّر أحداً من المسلمين وليس هو كذلك، وهذا ـ والله أعلم ـ لما في إطلاق الكفر بغير حق على المؤمن من الطعن في نفس الإيمان...وهذه الحالة الكريمة والحصانة العظيمة للمسلمين في أعراضهم وأديانهم من أصول الاعتقاد في ملة الإسلام). (ص65).

ج) والتكفير ـ للأمة كافة ـ واضح فيما قُدِّم من أمثلة أخذت من ثلاثة من أشهر كتب سيد التي لا تزال تطبع وتنشر بعد موته رحمه الله بعشرات السنين، ويصفها ورثته بالطبعات الشرعية عفا الله عنا وعنه وعنهم.

وقد أنكر عليه ذلك قبل الشيخ ربيع عدد من طلاب العلم والمثقفين، بل والمفكرين الموصوفين بالإسلاميين من حزبه، ولكني لا أشك في أنه لا يعي أو لا يعني ما يُفْهم من قوله؛ لأنه عاش طول حياته يتبع (شرع البشر) في الزي الأعجمي، بل وفي حلق اللحية المخالف لشرع الله، تجاوز الله عنا وعنه.

ثامناً: القول بخلق القرآن:

أ) أنكر الشيخ ربيع على الأستاذ سيد القول بخلق القرآن في مثل ما يلي:

1) قال سيد – عفا الله عنا وعنه – عن إعجاز القرآن: (والشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق الله جميعاً، وهو مثل صنع الله في كل شيء، وصنع الناس). (في ظلال القرآن ـ 38/1- دار

الشروق).

2) وقال: (فهذا القرآن ليس ألفاظاً وعبارات يحاول الإنس والجن أن يحاكوها، إنما هو كسائر ما يبدعه الله؛ يعجز المخلوقون أن يصفوه؛ فهو كالروح من أمر الله). (في ظلال القرآن - 2249/4- 2250- دار الشروق).

3) وقال: (ولكنهم لا يملكون أن يؤلّفوا من هذه [الحروف] مثل هذا الكتاب؛ لأنه من صنع الله لا من صنع الناس). (في ظلال القرآن - 2719/5- دار الشروق).

4) وقال: (وهذا الحرف [ص] من صنعة الله تعالى؛ فهو موجده صوتاً، وموجده حرفاً من حروف الهجاء). (في ظلال القرآن - 3006/5- دار الشروق).

ب) ويرى الشيخ بكر أن منتهى خطأ الأستاذ سيد عفا الله عنا وعنه: (تمدد في الأسلوب؛ كقوله: ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا منها [أي: الحروف المقطعة] مثل هذا الكتاب؛ لأنه من صنع الله لا من صنع الناس، وهي عبارة لا شك في خطئها، لكن هل يُحْكَم من خلالها أن سيداً يقول بهذه المقولة الكفرية: خلق القرآن؟ اللهم إني لا أستطيع تحمل عهدة ذلك). (ص9-10) من الرسالة (المفترى عليه نشرها).

ج) ويسهل الجمع بين إنكار الشيخ ربيع قول الأستاذ سيد بخلق القرآن، وتوقّف الشيخ بكر عن تحمّل عهدة ذلك بما يلي:

1) لم يترك الأستاذ سيد مجالاً للشك ـ بترديده وصف التنزيل بالصنع والصّنعة والإيجاد والإبداع ـ في أنه يقول بقول الأشاعرة الذين يردّون قول المعتزلة أن كلام الله مخلوق إطلاقاً؛ بأن: (كلام الله يطلق على الكلام النفسي القديم بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى، وعلى الكلام اللفظي بمعنى أنه خلقه وليس لأحد في أصل

تركيبه كسب... ومع كون اللفظ الذي نقرؤه حادثاً؛ لا يجوز أن يقال: القرآن حادث إلا في مقام التعليم؛ لأنه يطلق على الصفة القائمة بذاته أيضاً، لكن مجازاً على الأرجح). (شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ـ ص72- دار الكتب العلمية 1403).

2) والأستاذ سيّد ـ عفا الله عنا وعنه ـ يفصل بين الحرف والمعنى من كلام الله تعالى في أكثر الأمثلة التي أوردها الشيخ ربيع في كتابه: (أضواء إسلامية على عقيدة سيّد قطب وفكره)، والمثبتة هنا.

3) فخطأ سيّد ـ إذن ـ هو خطأ الأشاعرة، وليس خطأ المعتزلة في القول بخلق القرآن فيما ظهر لي، وهو خطأ على أيّ حال.

تاسعاً: تأويل صفات الله تعالى:

أ) أنكر الشيخ ربيع على الأستاذ سيد تأويل صفات الله تعالى في مثل ما يلي:

1) قال ـ عفا الله عنا وعنه ـ في تفسير قول الله تعالى:**{إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}** [البقرة: 117]: (وتوجه الإرادة يتم بكيفية غير معلومة للإدراك البشري)، ففسّر قول الله تعالى: **{كُن}** بتوجه الإرادة، وكررها فيما بعد مرات. (في ظلال القرآن ـ 107/1- دار الشروق).

2) ثم قال في تفسيره بعد: (أهذه النفخة هي الكلمة؟ الكلمة توجه الإرادة ؟ والكلمة هي عيسى أو هي التي منها كينونته ؟ كل هذه بحوث لا طائل وراءها إلا الشبهات). (في ظلال القرآن ـ 398/1- دار الشروق). [شكّ هذه المرة وحدها فيما أعلم وجعلها من المتشابه، وفيما بعد قرّر أن معنى **{كُن}**: توجّه الإرادة كما فعل من قبل].

3) وقال في تفسير قول الله تعالى: **{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ}** [طه: 11-12]: (**{نُودِيَ}:** بهذا البناء للمجهول، فما يمكن تحديد مصدر النداء ولا اتجاهه، ولا تعيين صورته ولا كيفيته، ولا كيف سمعه موسى أو تلقّاه، نودي بطريقةٍ ما فتلقى بطريقةٍ ما). (في ظلال القرآن) (2330/4-2331- دار الشروق).

4) وقال في تفسير قول الله تعالى: **{إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}** [البقرة: 117]: (فتوجّه الإرادة لخلق الشيء كاف وحده لوجوده كائناً ما يكون، إنما يقرّب الله للبشر الأمور ليدركوها بمقياسهم البشري المحدود). في ظلال القرآن) (2978/5- دار الشروق).

5) وقال في تفسير قول الله تعالى: **{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}** [الأعراف: 54]: (العرش؛ نؤمن به كما ذكره، ولا نعلم حقيقته، أما الاستواء على العرش فنملك أن نقول: إنه كناية عن الهيمنة على الخلق، استناداً إلى ما نعلم من القرآن عن يقين من أن الله سبحانه لا تتغير عليه الأحوال، فلا يكون في حالة عدم استواء على العرش، ثم تتبعها حالة استواء، والقول بأننا نؤمن به [بالاستواء] ولا ندرك كيفيته [وهو قول أهل السنة والجماعة] لا يفسر قوله تعالى: **{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}** [الأعراف: 54]). (في ظلال القرآن - 3480/6).

6) وقال عن وزن الله تعالى للأعمال: (لما كان التجسيم خطّة عامة صوّر الله تعالى الحساب في الآخرة كما لو كان وزناً مجسماً للحسنات والسيئات، **{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}** [الأنبياء: 47] ، **{فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ}** [القارعة: 6]، **{وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ}** [القارعة: 8]، **{وَإِن كَانَ مِثْقَالَ**

حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا} [الأنبياء: 47] ، **{وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً}** [النساء: 49] ، **{وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً}** [النساء: 124] ، وكل ذلك تمشيّاً مع تجسيم الميزان). (التصوير الفني في القرآن ـ ص83 ط ـ دار الشروق – عام2000م).

7) وقال في قول الله تعالى: **{يدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}** [الفتح: 10]، **{وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء}** [هود: 7] ، **{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ}** [البقرة: 255]، **{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}** [الفرقان:59]، **{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء}** [البقرة: 29]، **{وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}** [الزمر: 67] ، **{وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى}** [الأنفال: 17] ، **{وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ}** [البقرة: 245]، **{وَجَاء رَبُّكَ}** [الفجر: 22]، **{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}** [المائدة: 64]، **{إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}** [آل عمران: 55]: (إن هي إلا جارية على نسق متّبع في التعبير، يرمي إلى توضيح المعاني المجردة وتثبيتها، ويجري على سنن مطّرد لا تخلّف فيه ولا عوج؛ سنن التخييل الحسي والتجسيم في كل عمل من أعمال التصوير)، ورأى أن ما قيل غير ذلك، [ومنه قول أهل السنة والجماعة كما تقدم]: (جدل... حينما أصبح الجدل صناعة، والكلام زينة). (المرجع نفسه) (ص85).

8) وقال: (فأما مجيء ربك والملك صفّاً صفّاً؛ فهو أمر غيبي لا ندرك طبيعته... كذلك المجيء بجهنم؛ نأخذ منه قربها منهم... فأما حقيقة ما يقع وكيفيته؛ فهو غيب الله المكنون). (في ظلال القرآن ـ 3906/6- دار الشروق).

ب) لم يُبد الشيخ بكر مخالفة للشيخ ربيع في إنكاره، ولا تأييداً للأستاذ سيّد في تأويله صفات الله تعالى؛ فمنهجه منهج أهل السنة والجماعة (الذي صرّح سيد بمخالفته فيما سبق): إمرار

الصفة كما جاءت في كتاب الله أو سنة رسول الله × على المعنى المعلوم في اللغة، ونفي التكييف، ووجوب الإيمان بذلك، ومنع بحث الكيفية، كما ورد عن الإمام مالك رحمه الله: (الاستواء معلوم)، [في لغة العرب] والكيف مجهول، والإيمان به [بالاستواء] واجب، والسؤال عنه [عن كيفية الاستواء] بدعة).

ج) ومرة أخرى يتضح أن منهج سيد في تأويل الصفات كما هو في القول بخلق لفظ القرآن هو منهج الأشاعرة، وخطؤه في كل ذلك تابع لأخطائهم، عفا الله عنا وعنه وعنهم جميعاً.

عاشراً: منهاج سيد وأسلوبه في التفسير:

الكلام عن القول بخلق القرآن وتأويل الصفات في فكر سيّد رحمه الله لا يكون وافياً بحق الباحث والقارئ دون بيان منهاج سيد وأسلوبه في التفسير عامّة، بتقديم نماذج من كتبه التي لا يزال ورثته يطبعونها بعد موته بعشرات السنين دون تغيير؛ ويخصونها بوصف الشرعية.

أ) في كتاب سيد (التصوير الفني في القرآن) بيان واضح عن المنهاج الذي اختاره لتدبر القرآن، وصرّح بمخالفته ما كان عليه سلف الأمة جميعاً في عصر تنزيل القرآن، وعصر الصحابة بعد انقطاع التنزيل بموت النبي ×؛ وعصر التابعين وبقية القرون المفضلة التي كان أهلها خير الناس في فقه الدين والعمل به وتبليغه بشهادة رسول الله × مما أوحي إليه من ربه عز وجل.

1) قال ـ عفا الله عنا وعنه ـ: (بعض الناس [كلّ علماء السلف القدوة] حين ينظر في هذه الموضوعات [الأهداف الدينية التي أنزل الله القرآن لتحقيقها، والموضوعات الإلهية والتشريعية التي تناولها]، ويرى ما فيها من دقة وعظمة،

وصلاحية ومرونة؛ يحسبها ميزة القرآن الكبرى، ويحسب أن طريقة التعبير القرآنية تابعة لها...أما نحن فنريد أن نقول أن الطريقة التي اتبعها القرآن في التعبير هي التي أبرزت هذه الأغراض والموضوعات؛ فهي كفاء هذه الأغراض والموضوعات) (التصوير الفني في القرآن ـ ص239 ط. دار الشروق عام2000م).

2) وقال ـ عفا الله عنا وعنه ـ عن تدبر القرآن في عصر تنزيله: (لقد تلقّوه مسحورين يستوي في ذلك المؤمنون والكافرون، هؤلاء يُسحرون فيؤمنون، وهؤلاء يُسحرون فيهربون، ثم يتحدث هؤلاء وهؤلاء عما مسّهم منه، فإذا هو حديث غامض لا يعطيك أكثر من صورة المسحور والمبهور؛ هذا عمر بن الخطاب يقول: فلما سمعت القرآن رقَّ له قلبي، فبكيت، ودخلني الإسلام... وهذا الوليد بن المغيرة يقول: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، ثم يقول: إن هذا إلا سحر يؤثر ، وهذا القرآن نفسه يصف أثره في نفوس المؤمنين به ونفوس الذين أوتوا العلم من قبله، بأنه **{تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}** [الزمر: 23]، و**{إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً}** [الإسراء: 107]، وهؤلاء كفار قريش يقولون في لجاجة الإنكار: {أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [الفرقان: 5] ، هذا كله يقال، وهذا كله يقع، فلا تجد فيه صورة واضحة عن الجمال الفني في القرآن... وتلك مرحلة التذوق الفطري المباشر) (المصدر نفسه ص26).

3) ثم قال – عفا الله عنا وعنه – عن تدبّر القرآن أو تفسيره في عصر الصحابة رضي الله عنهم بعد انقطاع الوحي بموت النبي ×: (فإذا تجاوزنا عصر نزول القرآن؛ رأينا بعض

الصّحابة يتعاطون تفسير القليل منه اعتماداً على القليل المنقول عن النبي × وبعضهم يحاول في حذر وخشية أن يؤوّل بعض الآيات، وبعضهم يمتنع من هذا خشية أن يكون فيه مأثم ديني) (المصدر نفسه ص26). [وليت سيّد وأمثاله من المفكرين قبله وبعده اتخذوا الصحابة قدوة ، وتورّعوا عن القول على الله بغير علم].

4) ثم قال عن التفسير في عهد التابعين: (فلما كان عصر التابعين نما التفسير نموّاً مطّرداً، ولكنهم كانوا يقتصرون في تفسير الآية على المعنى اللغوي الذي فهموه من الآية بأخصر لفظ) (المصدر نفسه ص26)، [وفي التابعين قدوة].

5) ثم قال عن التفسير في بقية القرون المفضلة: (ثم أخذ التفسير ينمو ويتضخم ابتداءً من أواخر القرن الثاني، ولكن بدلاً من أن يبحث عن الجمال الفني في القرآن وتناسقه مع الجمال الموضوعي البالغ حد الكمال، أخذ يغرق في مباحث فقهية، وجدلية، ونحوية، وصرفية، وتاريخية، وأسطورية، وبذلك ضاعت الفرصة التي كانت مهيأة للمفسرين لرسم صورة واضحة للجمال الفني في القرآن وربطها بالكمال الموضوعي الذي يتجلى في القرآن) (المصدر نفسه ص27) ، [وهم من خير الناس].

6) ثم قال عن التفسير عند الخلف: (رجل واحد متأخر نوعاً، كان يقع له بين الحين والحين شيء من التوفيق في إدراك بعض مواضع الجمال الفني في القرآن، هو الزمخشري) [كبير دعاة الاعتزال في القرن السادس] (المصدر نفسه ص28).

7) ثم قال: (رجل واحد من الباحثين في البلاغة سابق

للزمخشري، بلغ غاية التوفيق المقدر لباحث في عصره، هو عبدالقاهر الجرجاني [النحوي الأشعري]، فلقد أوشك أن يصل إلى شيء في كتابه: (دلائل الإعجاز)، لولا أن قصة المعاني والألفاظ ظلت تخايل له من أول الكتاب إلى آخره، فصرفته عن كثير مما كان وشيكاً أن يصل إليه... لقد كان النبع منه على ضربة معول، فلم يضربها) (المصدر نفسه ص33).

ويتبين مما تقدم أن أكبر همّ سيد ـ عفا الله عنا وعنه ـ في تدبر القرآن ما أسماه: (الجمال الفني)، وكان هذا للأسف أهم ما جذب قرّاءه إلى فكره، وما شغلهم عن (المباحث الفقهية والنحوية)، وعن (قصة المعاني والألفاظ) التي ظن أن من سبقوه منذ عصر النبوة أخطأوا بالانشغال بها عن البحث في الجمال الفني؛ فلم يقتنع بمنهاج السلف في القرون المفضلة، ووجد قدوته عند الجرجاني الأشعري، وبدرجة أقل عند الزمخشري شيخ خلف المعتزلة. وبمثل فكر الثلاثة ضل من ضل عن التدبر **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}** [محمد: 24] أي: أفلا يتفهّمون معانيه ، كما قال أئمة المفسّرين.

ب) وإذا تميز سيد قطب ـ بزعمه ـ على من سبقه ومن لحقه ممّن حاولوا تفسير القرآن الكريم (بضربة المعول في نبع الجمال الفني في القرآن)؛ فلا عجب أن يكون أسلوبه في التفسير مخالفاً لأئمة التفسير والحديث والفقه في الدين، منذ أنزل الله كتابه المبين، حتى اتجه سيد إلى (خدمة الإسلام من خلال القرآن العظيم)، كما قال الشيخ بكر في رسالته الخاصة المفترى عليه نشرها؛ ليبعد عن القرآن ما أسماه سيّد: (جناية الطريقة المتبعة في التفسير) في القرون المفضلة بما فيها عصر الرسالة والخلافة الراشدة المهدية والصّحابة والتابعين لهم

الآخذين عنهم.

وكان من نتائج خروجه عن منهاج السلف في التفسير ما يلي:

1) وصف كلام الله تعالى بمفردات اللهو والسحر والشعوذة: الفن، والشعر، والتشخيص [التمثيل]، والمسرح، والسينما، والتصوير، والرسم، والموسيقى، ولم يدّخر بعض تفاصيلها: الوتر، والإيقاع، والجرس، والمقطوعة، والأصداء، والنغم، والألحان، والمشاهد المسرحية والسينمائية، والبطل، والنظارة، والمناظر؛ والستار، والريشة، والألوان ، والظل، ووحدة الرسم، واللوحة الطبيعية، وتناسق الإخراج، وتناسق التصوير، والتناسق الفني؛ والهينمة ، والتعويذة.

2) وصف آيات من سورة الفجر (بالموسيقى الرخية المتماوجة)، ووصف آيات منها: (بالعرض العسكري الذي تشترك فيه جهنم بموسيقاها العسكرية المنتظمة الدقات). (المصدر السابق ص97).

3) ووصف سورة النازعات بنوعين من الموسيقى: (السريعة الحركة، قصيرة الموجة، قوية المبنى، تنسجم مع جوٍّ مكهرب سريع النبض، شديد الارتجاف) و(الوانية الحركة، الرخية الموجة، المتوسطة الطول، تنسجم مع الجو القصصي) (المصدر نفسه ص111).

4) وصف سورة الضحى: (بالموسيقى الرتيبة الحركات، الوئيدة الخطى، الرقيقة الأصداء، الشجية الإيقاع). (المصدر نفسه ص125).

5) وصف سورة الليل بأن: (الموسيقى المصاحبة فيها أخشن وأعلى من موسيقى الضحى). (المصدر نفسه ص128).

6) وصف سورة العاديات (بموسيقى شبيهة بموسيقى النازعات، بل هي أشد وأعنف، وفيها خشونة، ودمدمة، وفرقعة). (المصدر نفسه ص126).

7) وصف آيات في سورة الفجر (بالموسيقى الحادة التقاسيم). (في ظلال القرآن - 3906/6- دار الشروق).

8) وصف آيات أخر من سورة الفجر بقوله: (يا لجمال النغم). (المصدر نفسه 3903/6).

9) وصف سورة الفجر عامة بقوله: (إنها تؤلف ألوناً متنوعة، تؤلف من تفرقها وتناسقها لحناً واحداً متعدد النغمات موحد الإيقاع). (المصدر نفسه 3901/6).

10) وصف بعض آيات سورة الفجر بقوله: (وفي بعض مشاهدها شد وقصف، سواء مناظرها أو موسيقاها). (المصدر نفسه (3902/6).

11) استنبط (موسيقى الدعاء المتموجة الرخيّة، الطويلة الخاشعة من قول الله تعالى: **{رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً}** [آل عمران: 191] ، وقوله تعالى: **{رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ}** [إبراهيم: 38] ، منسجمة مع الدعاء كل الانسجام بالتطريب، والتموج، والاسترسال). (التصوير الفني في القرآن - ص112- ط. دار الشروق عام 2000م).

12) استنبط (موسيقى الطوفان) من قوله تعالى: **{وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ}** [هود: 42]. (المصدر نفسه ص113).

13) وصف القرآن عامة بقوله: (القرآن يرسم صُوَراً، ويعرض مشاهد يتوافر لها أدق مظاهر التناسق الفني في ماء

الصورة، وجو المشهد، وتقسيم الأجزاء، وتوزيعها في الرقعة الموضوعة). (المصدر نفسه ص114).

14) أكّد أنه يعني (ولا يُكنّي) موسيقى اللهو حقيقة بقوله: (تفضّل الموسيقيّ المبدع الأستاذ محمد حسن الشجاعي بمراجعة هذا الجزء الخاص بالموسيقى في القرآن الكريم، وكان له الفضل في ضبط بعض المصطلحات الفنية الموسيقية). (المصدر نفسه ص106).

15) أكد أنه يعني (ولا يُكَنِّي) رَسْم وصُوَر اللهو بقوله: (تفضل الأستاذ الفنان ضياء الدين محمد مفتش الرسم بوزارة المعارف بمراجعة هذا القسم الخاص بتناسق الصور). (المصدر نفسه ص114).

16) قال في تفسير سورة الفلق: (والتصوير بالألوان يلاحظ هذا التناسق [بين اللون الذي ترسم به، والتدرج في الظلال] مع الفكرة والموضوع، كما يلاحظ التوزيع في المشاهد المسرحية والسينمائية، والتصوير في القرآن يقوم على أساسه، خذ مثلاً سورة من السور الصغيرة التي ربما يحسب البعض أنها شبيهة بسجع الكهان أو حكمة السجاع، خذ مثلاً سورة الفلق؛ فما الجو الذي يراد إطلاقه فيها ؟ جوّ التعويذة بما فيه من خفاء وهينمة، وغموض وإبهام). (المصدر نفسه ص115).

17) جمع بين قول الله تعالى: **{وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ}** [يس: 69] ، وقوله تعالى عن كذب الكافرين: **{بَلْ هُوَ شَاعِرٌ}** [الأنبياء: 5]: (بأن القرآن الكريم صدَق؛ إذ لا تتوفر له [القرآن] القافية والتفاعيل، وإن توفرت له بقية خصائص الشعر الأساسية، ولكن العرب لم يكونوا مجانين، ولا جاهلين

بخصائص الشعر يوم قالوا: إنه شعر، لقد راع خيالهم بما فيه من تصوير بارع، وسحر وجدانهم بما فيه من إيقاع جميل، وتلك خصائص الشعر الأساسية إذا نحن أغفلنا القافية والتفاعيل). (المصدر نفسه ص102).

18) وصف كلام الله تعالى بأنه أخذ من خصائص الشعر: (الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل، والتقفية التي تغني عن القوافي، وضمّ إلى ذلك الخصائص التي ذكرنا: [التصوير البارع، والمنطق الساحر، والإيقاع الجميل]) (المصدر نفسه ص102-103).

19) ضرب مثلاً لما أخذه القرآن من الشعر:[التّقفية، والإيقاع، والوزن]، بقول الله تعالى: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** [النجم: 19-20] (فلو أنك قلت: ومناة الثالثة؛ لاختلت القافية، ولتأثر الإيقاع، ولو قلت: ومناة الأخرى؛ فالوزن يختل)، وبقول الله تعالى: **{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي}** [مريم: 4] لو قلت: قال رب إني وهن مني العظم، لأحسست بما يشبه الكسر في وزن الشعر، ذلك أن (مني) تتوازن مع (إني) هكذا: (قال رب إني... وهن العظم مني). (المصدر نفسه ص104-106).

20) قال عن كلام الله تعالى: (فمرة يكتم سر المفاجأة عن البطل [بطل الرواية: موسى]، والنظارة [المتفرجين: قارئي القرآن]؛ حتى يكشف لهم في آن واحد)، في قصة موسى مع العبد الصالح. (المصدر نفسه ص183).

(ومرة يكشف السر للنظارة [القرّاء]، ويترك أبطال القصة عنه في عماية) ، في قصة أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنّها مصبحين ولا يستثنون، (وقد ظللنا نحن النظارة نسخر منهم وهم يتبادرون ويتخافتون، حتى انكشف لهم السر أخيراً بعد أن

شبعنا تهكماً وسخراً). (المصدر نفسه ص186). وهذا من التفسير الذي قاد الفكرُ أصحابَه إليه بعيداً عن هدي النبوة وفقه السلف؛ فهو معصية يجب التحذير منها.

21) قال – تجاوز الله عنا وعنه – في قول الله تعالى:**{إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـهٍ بِمَا خَلَقَ}** [المؤمنون: 91]: (إنها لصورة مضحكة أن يأخذ كل إله مخلوقاته، إلى أين ؟ لا ندري ! ولكننا نتخيل هذه الصورة فنضحك من فكرة تعدد الآلهة إذا كانت نتيجتها هذه النتيجة) (المصدر نفسه ص231).

22) ضرب مثلاً بقول الله تعالى: **{يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً}** [الطور: 13]: (لا شتراك الجرس [من الموسيقى]، والظل [من الرسم])، وشرح لفظ الدّع فوجده قد (جمع بين الدفع في الظهر بعنف، والصوت الذي يخرجه المدفوع، فيه عين ساكنة، هكذا:أع). (المصدر نفسه ص95).

وبمثل هذا الفكر ضمن الشيطان انصراف أهل ما سمي بالصحوة عن تدبر القرآن إلى ما سُمِّي زوراً بالاعجاز العلمي أو اللغوي في القرآن.

* * *

رأي العالِمَين المحققَين في منهاج سيد وأسلوبه

أ) أما الشيخ ربيع – حفظه الله قدوة صالحة – فكتبه: (أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره)، و (مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ×)، و (الحد الفاصل بين الحق والباطل)، و(العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم)؛ تبين مخالفته التامة، وإنكاره الشديد لمنهاج سيد رحمه الله وأسلوبه، وتكفير بعض أقواله وأحكامه، وإن صرح بعدم تكفير شخصه [عذراً بجهله].

ب) وأما الشيخ بكر – حفظه الله قدوة صالحة -: فكل كتبه تظهر موافقة للشيخ ربيع عموماً في إقراره وإنكاره، ولكن رسالته (المفترى عليه نشرها) لأخيه خالفته في أسلوب نقده لفكر سيد قطب رحمه الله منهاجاً وأسلوباً، والفتاوى العامة هي ما يعتدّ به؛ أما الرسائل الخاصة فتحكمها أحوالها الخاصة ولا وزن لها إذا خالفت الفتاوى العامة:

1) وصف الشيخ بكر أسلوبَ سيّد بالتحليق في رسالته الخاصة (المفترى عليه نشرها)، (ص7)، وبالسمو (ص11).

وصفة التحليق لا مشاحّة في استعمالها للصّالح والطّالح؛ فهي كما قال وفقه الله عن التوقير تصلح للمدح وللذم، فكما أن كلاً يوقر بما يستحق، فإن كلاً يُحلِّق على شاكلته: النسور والصقور، والرخم والغربان. ووصَفَ باحث محقق ثالث (أبو عبد الرحمن ابن عقيل) - هداه الله لأقرب من هذا رشداً - أمَّ كلثوم بالتحليق في كتابه (شيء من التباريح)، وأكثر تحليق العرب اليوم إنما يحدث في فضاء الخيال، ردّهم الله إلى دينه رداً جميلا.

وأما السّموّ فلا أظن الشيخ بكر بعد قراءة كافية لما كتب سيد

قطب، أو كُتب عنه إلا في (أوبة إلى العدل والإنصاف) إذا وزن أقوال سيّد رحمه الله بميزانه الذي اختاره لكل مسلم وبخاصة في كتابيه: (معجم المناهي اللفظية)، و (فقه النوازل ـ المواضعة في الاصطلاح)؛ فقد أنكر معظم المصطلحات الحديثة التي أشاعها سيد وأتباعه في الأمة مثل: عالمية الإسلام، موقف الإسلام من الربا، رأي الشرع ورأي الدين ورأي الإسلام، تطور الفقه الإسلامي، أسلمة المعرفة، الفكر الإسلامي، التصور الإسلامي، تقنين الأحكام، روح الإسلام ، الروحانية؛ قانون الأحوال الشخصية، وإليك المثال مضافاً إلى ما سبق:

قال سيد رحمه الله: (إن شريعة الله تعني كل ما شرعه الله لتنظيم الحياة البشرية، وهذا يتمثل في أصول الاعتقاد والحكم... ثم يتمثل في التشريعات القانونية التي تنظم هذه الأوضاع، وهو ما يطلق عليه اسم الشريعة غالباً بمعناها الضيق الذي لا يمثل حقيقة مدلولها في التصور الإسلامي). (معالم في الطريق ـ ص136- دار الشروق).

أما المعنى الواسع للشريعة (فيشمل أيضاً المعرفة بكل جوانبها، وأصول النشاط الفكري والفني جملة... أما الأمر الذي قد يكون غريباً، فهو الرجوع في شأن النشاط الفنّي الفكري والفني إلى التصور الإسلامي ومصدره الرباني... وفي النشاط الإسلامي صدر كتاب كامل [منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب]). (المصدر نفسه ص136-137).

2) نقل الشيخ بكر وفقه الله عن ابن تيمية رحمه الله قوله: (لا يحل امتحان الناس بأسماء ليست في الكتاب والسنة؛ فإن هذا خلاف ما أمر الله به ورسوله ×).

وعن ابن القيم رحمه الله قوله: (ينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ

النص مهما أمكنه، فإنه يتضمن الحكم والدليل؛ فهو حكم مضمون له الصواب، متضمن للدليل في أحسن بيان، وقول الفقيه المعيَّن ليس كذلك، وقد كان الصحابة والتابعون والأئمة الذين سلكوا على منهاجهم يتحرون ذلك غاية التحري، حتى خلفت من بعدهم خلوف رغبوا عن النصوص، واشتقوا لهم ألفاظاً غير ألفاظ النصوص، فأوجب ذلك هجر النصوص). (التقنين والإلزام ـ ص92- ط2 -1403هـ).

3) قال الشيخ بكر وفقه الله في معرض إنكاره بعض المصطلحات القطبيّة مثل: روح الدين الإسلامي، وروح الشريعة، وروح الإسلام: (أهل العلم في هذا الزمان يعيشون في زحمة زحف مهول من عاميّة الثقافة المعاصرة، ومن توليد المصطلحات، ومن الوقوع في دائرة اصطلاح المتصوفة من حيث لا يشعرون، ومن هذه هذا اللفظ ونحوه). (معجم المناهي اللفظية ـ ص173- دار ابن الجوزي).

4) قال الشيخ بكر ـ زاده الله توفيقاً وتسديداً ـ: (لفظ الروحانية، وهذه البلاد فيها روحانية، وهذه المجالسة فيها روحانية وهكذا، كلها مصطلحات صوفية لا عهد للشريعة بها؛ فعلى المسلمين تجنبها وإن كان لها بريق، فعند تأمل البصير لها يجدها خواء أو تشتمل على منابذة للشريعة بوجه ما). (المصدر نفسه ـ ص173).

قلت: وأخذتها الصوفية من الوثنية مع كثير من المعاني والمظاهر من: (الفناء، والوحدة، والعشق الإلهي، والحلول) إلى: (النسك الأعجمي وهز الرأس أو الجسم عند الذكر، واستعمال المسبحة)، أو من النصرانية (SPIRITUALITY) في الإنكليزية للمصدر و: (SPIRITUAL) للصّفَة، ومصدرها الأول: الوثنية الهندية ثم

اليونانية.

5) وقال: (فعلى المسلمين نبذ المصطلحات المولدة الركيكة في معناها ومبناها، والتي تقطع الصلة بحبل العلم والإيمان... في فوضى الاصطلاحات التي تذبح الأصالة، وتقتل الذات، وتفقد الخصوصية والتميز الحضاري، وتجعل المسلم في إطار مصطلحات غريبة عن دينه ولغته، يعيش في دوامة من التناقض بين اعتقاده وثروة أسلافه، وبين ما يسمعه ويعيش في منظومته الحضارية). (المصدر نفسه ـ ص244).

فضلاً عن وصف القرآن بالموسيقى والتصوير والتمثيل والفن والشعر والتعويذة والسحر والصور المضحكة... إلى آخر ما أحدثه سيد تجاوز الله عنا وعنه في التفسير العصري، وشغل المسلمين به عن تدبر معاني كتاب الله عز وجل.

6) ومن حيث المنهاج ـ وهو ما يصعب فصله عن الأسلوب في فكر سيد رحمه الله ـ: فإن الشيخ بكر يخالف سيد في كل ما خالفه فيه الشيخ ربيع: في القول بوحدة الوجود أو الإيهام به، وانتقاص نبي الله موسى عليه السلام، وعثمان ر وعهده، وعدد من السابقين المهاجرين المشهود لهم بالجنة رضي الله عنهم وأرضاهم ، والطعن في التابعين ، وفي جواز تغيير أو إلغاء حكم الرق تمشياً مع العرف العالمي، ونزع الملكيات والثروات (المكتسبة بِطُرُقٍ شرعية)، وفرض الضرائب لسد حاجة متوقعة، وفي تحريم الكسب بغير طريق العمل، وفي القول على الله بغير علم ولا هدى، وفي محبة كل مخلوق ، وفي موادة كل كافر إلا الحربي، وفي تكفير دول وجماعات المسلمين منذ القرون المفضّلة، وفي القول بخلق حروف القرآن، وفي تأويل صفات الله تعالى وردّ قول السلف (بالإيمان بمعانيها وعدم

إدراك كيفياتها)، وفي إنكار حقيقة العرش والوزن واستواء الله على العرش ومجيئه... إلى آخر ما اضطرب فيه فكر سيّد ـ عفا الله عنا وعنه ـ وتناقض بين الإثبات والنفي، وبين الحقيقة والتخييل والتجسيم التصويري؛ لثروته من الأسلوب الصحفي وفقره من العلم الشرعي.

* * *

خلاصة البحث

أ) كشف سيد رحمه الله أهم سبب لخروجه عن منهاج السلف في كثير من مواضع الجدل في فكره؛ فقال في تفسير قول الله تعالى: **{وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً* وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً}** [الجن: 8-9]: (فأما الذين يرون في هذا كله مجرد تمثيل لحفظ الله للذكر من الالتباس بالباطل، وأنه لايجوز أن يؤخذ على ظاهره، فسبب هذا عندهم [وعند سيد – كما تقدم – عفا الله عنا وعنه][1]؛ أنهم يجيئون إلى القرآن بتصورات مقررة سابقة في أذهانهم أخذوها من مصادر أخرى غير القرآن، [بل من فكر الفلاسفة والمتصوفة والمعتزلة والأشاعرة والوثنيين] ثم يحاولون أن يفسروا القرآن وفق تلك التصورات، [بل هم يحلّون ما حرم الله من التشريع بغير إذنه، ويحرّمون ما أحل الله من التملك بغير العمل أو أكثر من الحاجة أو الضرب في الأرض ابتغاء فضل الله] ... من أين جاؤوا بهذه المقررات التي يحاكمون إليها نصوص القرآن والحديث ؟ [من الفكر المبنيّ على الظّنّ ومن النّفس الأمّارة بالسوء ومن شياطين الجنّ والإنس].

إن الطريق الأمثل [بل الوحيد]... فَهْم القرآن وتفسيره [وفق بيان النبي × وفَهْم وتفسير صحابته وتابعيهم في القرون المفضلة رضي الله عنهم أجمعين]، ومن ثم لا يُحَاكم القرآن والحديث لغير القرآن [والحديث بفهم الأئمة الأول]، ولا يُنْفَى شيء يثبته القرآن [والسنة] ولا يؤوّل، ولا يثبت شيء ينفيه

(1) بين المعكوفين من كلام الباحث حتى نهاية الخلاصة كعادته فيما سبق.

القرآن [والسنة] أو يبطله، نقول هذا للمؤمنين بالقرآن، وهم مع ذلك يؤوّلون نصوصه لتوائم مقررات سابقة في عقولهم وتصورات سابقة في أذهانهم لما ينبغي أن تكون عليه حقائق الوجود).

ثم كتب في الحاشية: (وما أبرئ نفسي، إني فيما سبق من مؤلفاتي وفي الأجزاء الأولى من هذه الظلال، [بل وفي الأجزاء الوسطى والأخيرة كما تقدم] قد انسقت إلى شيء من هذا [وغيره]، وأرجو أن أتداركه في الطبعة الثانية إذا وفق الله، وما أقرره هنا هو ما أعتقده الحق بهداية من الله). (في ظلال القرآن) (6/3730-3731- دار الشروق ـ الطبعة الشرعية).

وقد توفّاه الله قبل أن يتدارك ما تبيّنه من أخطائه وما لم يتبيّنه، ولا أظن ورثته هداهم الله وأخصّ مقدمهم أخاه الأستاذ محمد قطب يَسْلمُون من الإثم بإصرارهم على الاستئثار دونه بالمغنم من ريع الطباعة، ومشاركته أو الانفراد بالمغرم لنشر أخطاء بالغة تسيء إلى الإسلام والمسلمين أعلن رحمه الله العزم على الرجوع عن بعضها، وكذلك لا أظن القائمين على الطباعة والنشر في العالم المسلم يَسْلَمون من الإثم، إذا لم يتداركوا هذا الأمر، ويوقفوا نشر هذه الأخطاء، بل هذه الكتب وأمثالها جميعاً.

ب) ركز سيّد رحمه الله أكبر جهده واهتمامه على ما أسماه الحاكمية والتشريع؛ بما فيه اتباع التقاليد والأعياد، والعادات والأزياء مما لا يتجاوز الصغيرة إذا كان معصية، وأهمل أكبر الكبائر التي أحاطت به من المهد إلى اللحد لو وُجد اللحد في قبره: أوثان وأنصاب الجاهلية في كل زمان ومكان منذ قوم نوح: المزارات، والمشاهد، والمقامات، والأضرحة؛ أصل الأوثان والأصنام، بل هوّن ـ تجاوز الله عنا وعنه ـ مِنْ أَمْر الأوثان والأصنام التي أرسل الله جميع الرسل لهدمها بأنها

ساذجة، لم يُشْرِك الأولون بسبب التقرب والاستشفاع بها إلى الله، ولم يُسْلموا بتركها واعتقاد أن لا إله إلا الله، والتعبد لله بأركان الإسلام – كما تقدم – خلافاً لمحكم الكتاب وصحيح السنة وصريحها ، وفقه أئمة القرون المفضّلة المعتَدّ بهم في الدّين.

ج) ركّز رحمه الله جهدَه وهمَّه على محاربة الثروة، وما تنتجه من فروق الطبقات، وأُنسِيَ قول الله تعالى: **{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}** [الزخرف: 32].

وقاده هذا الخطأ في الوقوع في عِرض عثمان ر، وعدد من كبار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، وتحريم ما أحل الله من الضرب في الأرض ـ ابتغاء فضل الله ـ والتملك بغير العمل.

وقاده هذا الخطأ إلى إباحة أو إيجاب نزع وتأميم الممتلكات المكتسبة شرعاً، والاستيلاء على نسبة من الربح أو رأس المال، وفرض الضرائب الخاصة والعامة، وشَرَع الثورة على الحاكم إذا فضّل بعض الناس في توزيع المال العام ، مع أنّ النبي × فعله.

د) تناقض فكره رحمه الله واضطرب بَيْن إثبات وحدة الوجود (الصوفية الوثنية) ونفيها، وبَيْن موادّة الكافرين غير المحاربين ونفيها (باختلاف العقيدة)، وبَيْن الحث على التمتع بالحياة الدنيا إرضاءً لله ولمز صحابي مبشر بالجنة بأنه بنى دارة بالعقيق رفع سمكها وأوسع فضاءها، وبَيْن تقريره اتساع المال العام عن المقررات للناس في عهد عثمان ر وادعائه تفشّي الفقر والبؤس، ومثل هذا كثير في فكره يصعب إحصاؤه.

هـ) استند في غالب فكره على روايات الأخباريين والمؤرّخين بغير إسناد، وعلى رأيه في تفسير القرآن الذي

صرّح بمخالفته للسلف منذ زمن تنزيله، بل استند في فقه الأحكام على رواية عن عبد الرحمن عزام عن قبيلة الطوارق تؤيد اشتراك الناس في المال، ونفى الحاجة إلى علوم الأزهر مستدلاً بأنه ألّف كتابين عن الإسلام دون الرجوع إليها (بل إلى الشعر الحديث، والأمثال الشعبية، وآراء الموسيقيين والرسامين والممثلين والمصورين في كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه).

و) لعل تأثيره في الأمة منذ تحول إلى ما أسماه بالفكر الإسلامي إلى اليوم أعظم من تأثير أي مسلم آخر، وبخاصة في قضايا الحكم والمال؛ وفي الجرأة على التكفير ومنازعة الأمر أهله؛ وقد نَفَّذ قادة الثورة المصرية فكره الاشتراكي من كتابَيه: (العدالة الاجتماعية في الإسلام)؛ و (معركة الإسلام والرأسمالية)، وكلاهما طُبِعَ قبلها؛ وبخاصة في مسائل نزع الممتلكات الخاصة الشرعية، وفكرة (العاطلين بالوراثة) عندما كان (يعمل مع قادتها ومع من يحيط بهم أكثر من اثنتي عشرة ساعة يومياً). (لماذا أعدموني - ص12-14).

وكان تأثير فكره واضحاً في وجود جماعات التكفير، وأحزاب التحرير والجهاد، لتركيزه على قضايا فكرية غير شرعية مثل: (لا طاعة لإمام غير عادل، ولو كان يُقِرُّ أن الحاكمية [العبودية عنده] لله وحده ويحكم بشريعة الله لكنه لا يعدل في الحكم؛ استناداً إلى روايات غير مسندة عن أبي بكر وعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم). (العدالة الاجتماعية - ص158 - دار الشروق1415). وفي هذا مخالفة صريحة لحديث الصحيحين عن جابر ر (بايعنا رسول الله × على السمع والطاعة في العسر، واليسر، والمنشط، والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله).

ومثل تقريره أن (قاعدة الإسلام الأصلية في الحكم: اختيار المسلمين المطلق هو المؤهِّل الوحيد للحكم) المخالف لكل الولايات

الشرعية في القرون المفضلة منذ عهد أبي بكر ر، والموافق لحكم الشعب في النظم (الديمقراطية القانونية العلمانية).

ز) و (نحن نقول: غفر الله لسيّد) إقدامه على تأويل كتاب الله بغير علم، ومخالفة فقهاء ومحدثي ومفسري هذه الأمة في المنهاج والأسلوب، ومرة أخرى نقرر أننا لا نشك في صلاح نيته ورغبته في خدمة الإسلام، وأنه حري بتصحيح أخطائه لو عرف طريق الحق من نصوص الوحي بفهم أئمة العلم في القرون المفضلة، ولم يعتمد على تصوراته كما قال عن نفسه وعن غيره من المفكرين.

وجزى الله الشيخ ربيع بن هادي المدخلي خير جزائه لمحاولته ردّ شباب الأمة إلى شرع الله، وتحذيرهم من فكر التكفير والانعزال والخروج عن الجماعة والولاية، وجزى الله الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد خير جزائه لمحاولته تصحيح أسلوب نقد المسلم للمسلم.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه والدعاة إلى سنته.

* * *

محتوى البحث

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	3
وجوه اتفاق العالمين المحققين واختلافهما	6
ميزان النقد الشرعي	19
أهم مواضع الجدل في فكر سيد	23
1- ذم موسى عليه السلام	23
2- ذم عثمان رضي الله عنه	25
3- لمز عدد من كبار الصحابة رضي الله عنهم	31
4- القول بوحدة الوجود	36
5- إباحة التشريع للمصلحة أو العرف	42
6- جهل معنى لا إله إلا الله والألوهية والربوبية	46
7- تكفير المسلمين	51
8- القول بخلق القرآن	59
9- تاويل صفات الله	61
10- منهاج سيد واسلوبه في التفسير	65
رأي العالمين المحققين في منهاج سيد واسلوبه	77
خلاصة البحث	83